شخصية المسلم

كما يصنعها الإسلام

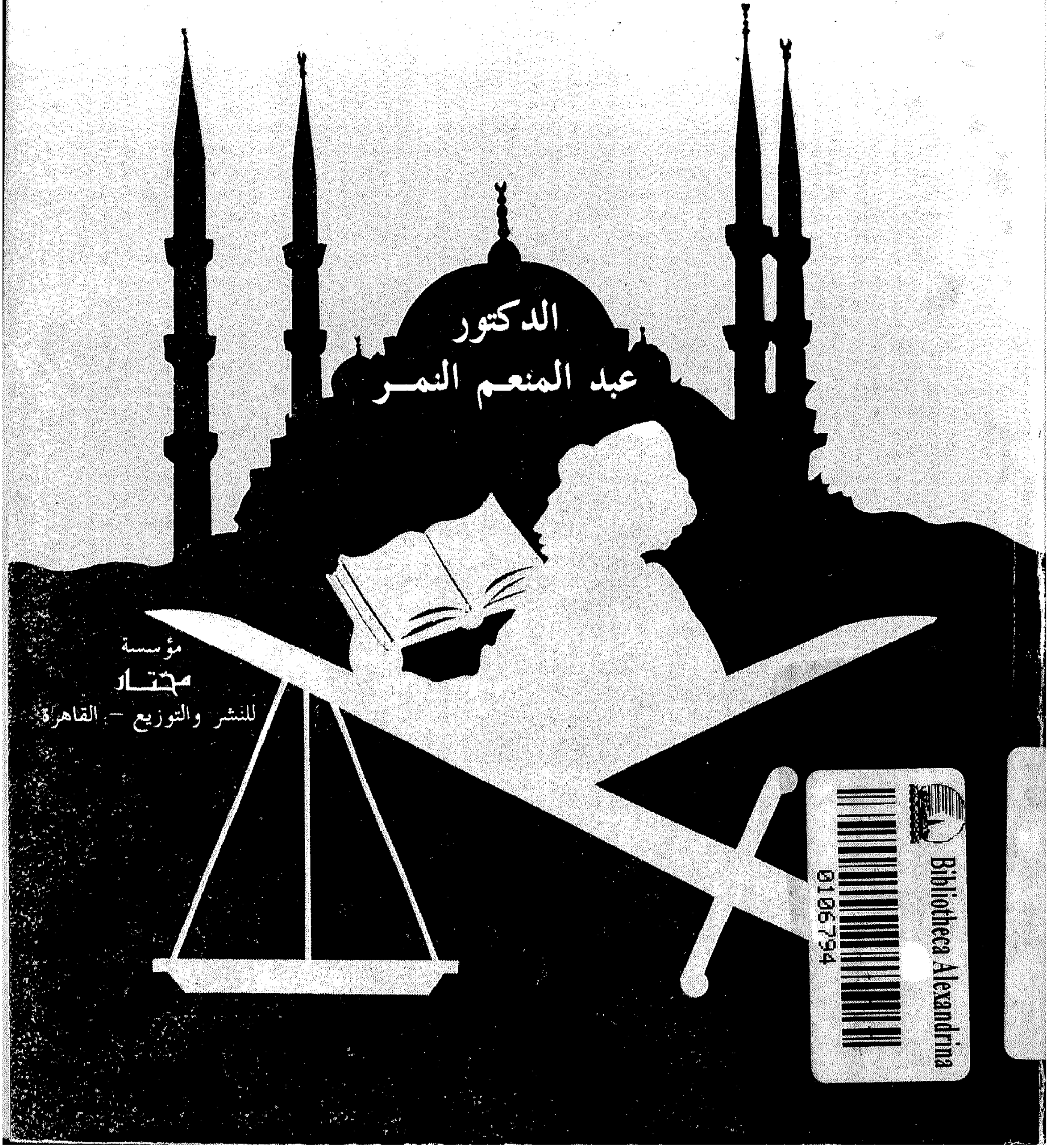

الدكتور
عبد المنعم النمر

مؤسسة
مختار
للنشر والتوزيع - القاهرة

Bibliotheca Alexandrina
0106794

شخصية المسلم

كما يصنعها الاسلام

شخصية المسلم

كما يصنعها الإسلام

الدكتور
عبد المنعم النمر

مؤسسة
مختار
للنشر والتوزيع
القاهرة

حقوق الطبع محفوظة للناشر

١٩٨٧م

،

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على قدوتنا رسول الله ﷺ . .

أخى

لا نزال نحن المسلمين ، ومنذ قرون ، نعيش فى هذا العالم كالتائهين ، الذين لا يعرفون لهم وطنا يلوذون به ، ولا مرفأ يلجئون إليه . . نقف على باب هذا وذاك من الأمم التى تقاسمتنا وكأننا انقاض أمة وتحكمت فى مصيرنا . .

ونحن نحاول أن نلتحق بهذا ، ونلتمس القوة من التشبه بذاك ، حتى ضاعت معالم شخصيتنا الاسلامية ، وظهرت علينا بثور التبعية لهؤلاء ، أو هؤلاء . . والنذر من حولنا تصك الآذان ، وتهز القلوب . . ولا من مجيب . .

وكان من نتيجة هذا أن اتجهت الظنون الى الاسلام بالاتهام فى خلق هذه الحالة من التخلف والركود . . وثارت التساؤلات تبحث عن شخصية المسلم ! ماذا تكون ؟ وما الذى رسمه الاسلام لتكوين هذه الشخصية ؟ وما مدى تفاعلها مع الحياة والرقى بها ؟ وتناسى المتسائلون أو تغافلوا عما صنعه الاسلام . . وعلى مدى قرون - فى بعث أمة كانت مثالا للأمم ، فى عزتها ، وسيادتها ، وحضارتها ، وحرصها على العدالة والاخلاق ، على مدى ثمانية قرون . . كما يقرر المنصفون الغربيون أنفسهم . .

تناسوا هذا : لأنهم ليس لهم إلا الحاضر ، يبنون أحكامهم عليه ، والحاضر فى صالح موقفهم العدوانى من الاسلام والمسلمين . .

والمسلمون يعيشون ، وكأنهم ليسوا هنا ، يتصارعون ، وينهش بعضهم بعضا . ويذيق بعضهم بأس بعض !! تائهون ، وكأنهم لا ماضى لهم ، يثير فيهم الهمة ، ولا عبرة لديهم بحاضر الأمم حولهم ، يبعث فيهم النخوة ، حتى خلا موكب التاريخ الحى منهم . . وإذا كانت الصحوة الاسلامية الآن تمثل اندفاعا لاحتضان كل ما هو إسلامى . واسترجاع شخصيتنا الإسلامية . وبناء حاضرنا ومستقبلنا على أساسها . فهذه أمامك عناصر هذه الشخصية . وقد لخصها الرسول ﷺ فى كلمات قليلة : قل آمنت بالله ثم استقم . . والمهم أن يتجاوب المسلمون معها ، ويحرصوا على إحيائها فى نفوسهم ، وإبرازها فى تصرفاتهم ، حتى يحققوا لأنفسهم الحياة التى يريدونها ، ويريدها الله لهم : ﴿ خير أمة أخرجت للناس ﴾ .

وعلى الله قصد السبيل ، ومنه العون والتوفيق ،،،

٤٠ صالح حقى . مصر الجديدة . ١٤٠٧هـ

١٩٨٧ م   د . عبد المنعم أحمد النمر

من القران و السنة

أصدق ما نستهل به الحديث عن التربية الاسلامية وأثرها فى تكوين شخصية المسلم آيات من الذكر الحكيم ، وأحاديث من كلام سيد الأنبياء والمرسلين قائد الأمة ومربيها . . لها صلتها وأثرها فى تكوين شخصية المسلم . اخترناها ووضعناها أمامك هنا كنموذج نفتتح به حديثنا . والا فالقرآن الكريم كله والأحاديث النبوية كلها ، تهدف كل آية فيه ، وكل حديث الى تكوين الشخصية الاسلامية التى يريدها الله : صلة بالخالق ، وبالناس . وبالعالم الذى يعيش فيه : حيوانه ، ونباته ، وجماده . .

يقول الله فى وصف عباده المتقين :

* الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون . أول البقرة .
* ويوجه المؤمنين لطريق الايمان الصحيح :

قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم فى شقاق ١٣٦ ، ١٣٧ - البقرة .

* وإلهكم اله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ١٦٣ البقرة .
* ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن

بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ١٧٧ - البقرة .

* ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ١٨٨ - البقرة .
* قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ٢٦٣ البقرة
* أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون . . . . الآية ٢٦٧ البقرة .
* اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ٢٧٨ البقرة
* واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا . . . الآية ١٠٣ - آل عمران
* إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ٥٨ النساء .
* أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر مكم فإن تنارعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول . . . الآية ٥٩ النساء .
* فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ٦٥ النساء .
* يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ٣١ ، ٣٢ - الأعراف .
* وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده ١٠٧ - يونس .
* إنما يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق . والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء

الحساب والدين صبروا ابتغاء وجه ربهم .... الآية ١٩ - ٢٢ الرعد .

* ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ... الآية ٩٠ النحل .

* من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعلمون ٩٧ النحل .

* ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ٢٣ - النور

* أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . أول العنكبوت .

* ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بما أنزل الينا وما أنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ٤٦ - العنكبوت .

* ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن .. الآية ٣٤ - فصلت .

* إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ٦ - الحجرات

* إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ١٠ الحجرات .

* لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب ١١ الحجرات

* اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا .. الآية ١٢ الحجرات .

* إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم ١٣ الحجرات

* وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة سورة البنية
* أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون سورة الماعون
* قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد الاخلاص

تلك آيات من القرآن الكريم ،ومنها ومن باقى آيات القرآن الكريم يستمد المسلم شخصيته . ويبنى عليها كيانه فكرا وسلوكا . . وتأتى أحاديث رسول الله ﷺ فتشارك وتبين وتوضح وتفصل ، كما يذكر المولى سبحانه : وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم فكل ما صدر عن رسول الله من قول أو فعل أو تقرير ، إنما هو لتربية المسلمين وتكوين شخصيتهم . نقتطف هنا نماذج من سننه عليه الصلاة والسلام . . .

* إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى . . متفق عليه بين البخارى ومسلم .
* إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم مسلم
* إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع أو بما يطلب الترمذى
* جاء رجل الى النبى ﷺ وقال له : أوصينى : قال : لا تغضب ورددها مرات البخارى

* المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير مسلم
* عجبا لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس دلك لأحد الا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر ، فكان خير له مسلم
* دع ما يريبك الى مالا يريبك الترمذى
* احفظ الله يحفظك (أى حافظ على تعاليمه) احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت باستعن بالله . تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة . الحديث الترمذى
* لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق مسلم
* كل سلامى من الناس السلامى عظام الكف والمراد عظام الجسم عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة ، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى وتنحيه عن الطريق صدقة متفق عليه .
* يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها فى معاونتها ولو بفرسن شاة أى حافرها . . . متفق عليه
* المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يُسلمه ، ولا يخونه ، ولا يكذبه ، ولا يُخجله ، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة . كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم متفق عليه
* لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه متفق عليه
* كل أمتى معاف الا المجاهرين أى بالمعاصى
* أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا - وأشار بأصبعيه : السبابة والوسطى - البخارى

* الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله - مسلم
* بئس طعام الوليمة ، يدعى إليها الأغنياء ، ويترك الفقراء متفق عليه
* لا يفرك يبغض مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقا رضى منها آخر - مسلم
* أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم ، وأنا خيركم لأهلى - الترمذى
* الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة - مسلم
* كفىء المرء إثما أن يضيع من يقوت . أبو داود ومسلم بمعناه
* ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه . متفق عليه
* يا أبا ذر إذا طبخت مرقة أى شيئا ذا مرقة من لحم وخضار مثلا فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك . مسلم
* والله لا يؤمن وكررها ثلاثا قيل من يا رسول الله؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه أى شروره . متفق عليه
* من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه
* ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله من يكرمه عند سنه . الترمذى
* ليس الغنى عن كثرة العرض والمال ، ولكن الغنى غنى النفس . متفق عليه
* اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول - البخارى . واليد العليا : المعطية . والسفلى : الآخذة .
* ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده - البخارى
* ان الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله - متفق عليه
* اذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ، إن نسى ذكره وان ذكر أعانه ، واذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسى لم يذكره ، وإن ذكر لم يعنه - أبو داود
* من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، فذكر من أصاف المال ما ذكره ، حتى

رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل ـ مسلم

* ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر : صانعه يحتسب فى صنعته الخير ، والرامى به ، ومنبله (أى مناوله ومساعده) وارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب الى من أن تركبوا ، ومن ترك الرمى بعد علمه رغبة عنه ، فانها نعمة تركها أو كفرها ـ أبو داود
* يحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ـ مسلم
* من غشنا فليس منا ـ مسلم
* اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر ـ متفق عليه
* اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ـ متفق عليه

• • •

ذلك هدى الله

لقد كان من رحمة الله بالانسان الذى خلقه وسواه على طبيعة خاصة تختلف عن بقية طبائع مخلوقاته ، أنه لم يتركه لطبيعته وعقله ، بل جعل له هداة ومرشدين من جنسه ، يختصرون له طريق الوصول الى الحق والخير ، ويمهدون له طريق العيش فى سلام وهدوء ، ويعرفونه كيف ينشىء علاقة سليمة طيبة بينه وبين ربه ، وبينه وبين مخلوقات الله . . . فجاءت الرسل ، واحدا بعد الآخر ، بهداية ربهم الى خلقه ، اتفقت هذه الرسالات فى المبادىء والأصول - أصول العقيدة ، والأخلاق - وأختلفت فى المناهج . حسب ظروف كل زمن . ﴿ **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** ﴾ المائدة - ٤٨

ومع أن هذه الرسالات ، كانت موضعية خاصة يقوم من البشر دون قوم إلا أنها كانت كلها تحمل خصائص الرسالة الكافية للقوم من أصول ومن تشريع مناسب لهم ، فكانت بهذا متفقة - كما قلنا - أو مجتمعة على الأصول ، والمبادىء مهما يختلف الزمن والقوم ، ومختلفة فى بعض الأمور التشريعية التفصيلية ، لتناسب الزمن والتطور ، وتجابه أو تعالج ما عليه الناس من أوضاع فى بيئاتهم الخاصة . .

ولقد كانت هذه الرسالات الموضعية التى يعنى الرسول بتبليغها فى القوم الذين أرسل اليهم . كانت أشبه بمناهج ربانية إصلاحية موضعية ، ظلت قرونا طويلة ، وكانت أشبه بتمهيد للرسالة العامة ، التى كلف الله بها محمد ﷺ . ﴿ **قل يا أيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعا** ﴾ - الأعراف / ١٥٨ وكان من طبيعة هذه الرسالة الخاتمة العامة الخالدة :

أ - أن تأتى متفقة فى أصول العقيدة والأخلاق مع الرسالات السابقة عليها ، ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون** ﴾ الانبياء / ٢٥ ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾ الشورى / ١٣ والدين عند الله الاسلام . . .

ب - وأن تكون فى قواعدها التشريعية العامة ، وفيما نصت عليه من شريعة ونظم تفصيلية ، صالحة لأن تغطى حاجة البشر كلها وتكفى لايجاد أرقى المجتمعات فى كل نواحى الحياة ، فى أى مكان وفى أى وقت الى أن تقوم الساعة ، فليس من حكمة الله - وهو العليم الحكيم - أن يقول لنا : إن رسالة محمد لجميع الناس على مختلف العصور . ثم يأتى حكم من أحكامها مناقضا للمصالح الحقيقية للمجتمعات البشرية فى أى وقت أو مكان . . وعلى هذا جاء حكم الله سبحانه فى قوله : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ آل عمران / ١١٠ والخيرية هذه ليست متعلقة بجنس ، ولكنها منبثقة من طابع الرسالة المحمدية ومن يعمل بها .
(وعلى هذا أعد الاسلام أتباعه وبنى شخصية المسلم عليه . وكان بناؤها كأى بناء ، له أسس يقوم عليها ، وله مكملات ، وتحسينات ، لابد منها ، لكى يكمل البناء ، ويأخذ شكله النهائى الجميل .

● الأصول والأسس :

ولهذا كان من الطبيعى أن يبدأ القرآن ، ويبدأ الرسول ﷺ بالشيء الطبيعى الأساسى فى بناء النفس البشرية ، بناء سويا قويا . . ويركب فيها المحرك الدينمو الفعال الذى يحرك الخواطر والأنظار وحواس الانسان ، وهو الايمان . . الايمان بالله كما ينبغى ، وكما يليق بجلاله وعظمته . .

والايمان دائما - وفى حد ذاته - هو مصدر كل حركة . . واجتهد أن تغرس فى نفس أى انسان الايمان بفكرة أو عقيدة ما ، حتى ولو كانت خطأ فى ذاتها . . تجده بعد ذلك يندفع للعمل ويتحرك بقوة إيمانه ، ولا يبالى بالصعاب والمشقات ، بل يستعذبها . .

وأنت فى حياتك لا تندفع لعمل شيء ، الا اذا آمنت به ، واقتنعت أولا بجدواه ، وأى عمل لا يؤمن الانسان به ولا يقتنع أولا ، يكون عملا صوريا فاترا لا يجدى ولا يثمر . وكلما كان الذى تؤمن به عظيما ، كان العمل له عظيما يناسبه ، وكانت تبعات العمل له ، ومشقاته كذلك عظيمة ، وشعرت أنت كذلك بعظمتك فى إيمانك ، وفى عملك الذى تؤديه . . إن العظائم كفؤها العظماء . . .

قد تؤمن بفكرة عارضة ، وقد تؤمن بشخص لمزايا رأيتها فيه ، فتتخلص لفكرتك أو لهذا الشخص . . وقد تنتهى الفكرة ، وقد يزول الشخص . .

وقد يؤمن الانسان بشيء عظيم ، ثم يكتشف أنه غير عظيم ، فيذوب ايمانه ويزول ﴿ **فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين** ﴾ الأنعام / ٧٦

قد يؤمن الانسان بعظيم ، ثم يكتشف أن عظمته زائفة ، وأن هناك من

هو أعظم وأعلى منه ، فينتهى ايمانه به .
﴿ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون ﴾ الأنعام ٧٨
ثم ان قدر الانسان معلق وموزون بما يؤمن به . . . فالذى يؤمن بالخرافات ويعمل لها إنسان مخرف ، لا وزن له إلا وزن الناس للخرافات ، والذى يؤمن بالتوافه ويسعى لها ، إنسان تافه ، والذى يؤمن بشىء محدود . ولو كان سليما وصحيحا – تظل قيمته محدودة فى اطار ما يؤمن به ، ويعمل له . . وهكذا يهبط الانسان أو يرتقى حسب ما يؤمن به ويعمل له ، ولهذا قيل [على قدر العزم تأتى العزائم ، وتأتى على قدر الكرام المكارم] .
فبقدر ما يرتقى الانسان فى ايمانه بما آمن أو يؤمن به ، ترتقى قيمته ، ويرتقى عمله . . فالذى ينتسب الى عظيم يستمد شيئا من عظمته . ويجتهد – إذا كان جادا – فى أن يعمل بما يتسق والجو الذى يحيط به ، والعظيم الذي يلتحق به ، وينتسب اليه .
ولقد كرم الله الانسان ، وكان من وسائل تكريمه ورحمته به أنه لم يتركه يتخبط فى تجارب وفلسفات متعددة ، تنزل به عن مستواه الذى أراده له ، فربطه به وحده ، ولم يرض أن يذل لمخلوق مثله ، أو أقل منه ، فالانسان مخلوق عظيم ، بل هو أسمى مخلوقات الله ، خلقه الله فى أحسن تقويم ، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض ، سواء فى ذلك ما هو أقوى منه ، ولا يستطيع أن يتحكم فيه ، كالشمس والقمر والرياح ، أو ما هو أضعف منه ، لذلك كان من الطبيعى الذى يتسق ومنزلته ، وخلافته فى الأرض ، ألا يحنى قامته الا لمن خلقه وكرمه ، ولا ينتسب إلا له ، ولا يؤمن إلا به ، وكان من السفه أو الوضاعة التى يضع الانسان فيها نفسه مختارا ، أن يعرف أن الله رفعه وكرمه ، ولا يرضى له أن ينتسب لسواه ، ليشعر بعظمة نفسه ، فيختار هو لنفسه الدون ، ويعرض عن العلى الأعلى ، ويرفعه الله إلى السماء فيأبى هو الا أن يخلد

للأرض ، ويلعب بالتراب ، ويعيش فى الوحل . إن الايمان بالله الخالق المدع القوى القادر ، يجذب الانسان للعبودية والذلة لمن يستحق ، ويجعله دائما منتصب القامة ، مرفوع الهامة للسماء ، ويضع نفسه حيث وضعه الله أشرف مخلوق وأعز مخلوق ، وكل المخلوقات مسخرة له ، وليس هو مسخر لأى مخلوق آخر . . وتتولد فى نفسه بذلك طاقة وعزة مستمدة من عزة الله لا تحدها حدود ، فقد انفتح له الطريق للاتصال المباشر وبدون واسطة مع خالقه ومولاه ، كلما تقرب اليه شبرا تقرب اليه مولاه ذراعا ، وكلما أقبل على ربه الذى يؤمن به ، ازداد ربه رضاءا عنه ، واقبالا عليه ، ورعاية له ، فيعيش المؤمن وهو يشعر بأنه فى كنف وأحضان أعظم قوة فى الوجود ، فلا ينحذب لقوة أخرى ، مهما تعظم ، فهى أضعف من قوة الله التى يستند اليها فيعيش فى حماها .

فالايمان بالله وحده حماية لنفسية الانسان ، وحماية لعقله ، وقوة تدفعه الى العمل بكل طاقاته . ومن هنا جاءت الشرائع الهادية من الله على لسان أنبيائه ورسله ، وكلها تدعو الانسان الى أن يؤمن بالله وحده ويربط نفسه به وحده ، ليعيش كما يريد له مولاه وسيده عزيزا مكرما . . . ويموت كذلك عزيزا مكرما . . . ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون** ﴾ الأنبياء / ٢٥

وكانت هذه مهمة الرسل كلهم . . مهمتهم إنقاذ الانسان وإنقاذ شرفه أن يتلوث بغبار الأرض ، وإنقاذ عقله أن يتلوث أو يضل بالخرافات والعقائد الباطلة ، أو يزيغ قلبه ويبتعد عمن خلقه ، ليخضع لمخلوق مثله ، يقدم له مراسم العبودية . وهو أعظم ممن يخضع له . . جاءت الرسل ليسلم الانسان قلبه وعقله ووجهه لله رب العالمين ، ويعيش ويدور فى فلكه وحماه . . . ويحتمى بظله ورضاه ، فكان الدين عند الله الاسلام ، وكانت المبادىء والعقائد والفضائل كلها واحدة فى جميع الأديان ، وإن اختلف بعضها عن بعض ، فى المناهج والتشريعات للحياة . . وكان الذى يتبع رسولا ويؤمن بالمبادىء والتوجيهات التى جاء

بها من عند الله ، مسلما لله وجهه ، حتى يأتى رسول آخر ، فتنتقل المهمة اليه ، وينتقل الولاء له ، مع الاقرار بفضل السابقين من الرسل ، الذين مهدوا الطريق ، وسلموا القيادة للرسول الجديد ، ليقضى مرحلته وشوطه ، حتى تتوقف مهمته ورسالته ، ليحملها رسول جديد ، وهكذا حتى انتهت المقاليد كلها ليد الرسول الخاتم للرسالات ، محمد ﷺ ، فدعا الى ما دعا إليه أخوانه من المبادىء ودعا أتباعه لأن يعرفوا فضل السابقين ، ويجلوهم ، ويؤمنوا بهم جميعا ، فوصلوا بذلك الحلقات بعضها ببعض ، وحملوا اللواء ، فكانوا هم المسلمين الوارثين .
أما من تخلف عن حمل اللواء وعن الايمان بما يؤمنون به ، وقعدوا فى الطريق ، ولم يواصلوا السير ، وتجمدوا عند رسول ، ولم يعترفوا بمن جاء بعده ، وباللواء الذى تسلمه ، فقد أضاعوا على أنفسهم شرف الاسلام . إسلام الوجه لله والتسليم له ، حين صدوا عن طاعة الرسول الذى اختاره حاملا لرسالته الجديدة . ومبلغا عنه . . .
ومن هنا كان أتباع محمد ﷺ هم الذين نالوا وحدهم شرف تسميتهم بالمسلمين ، وشرف السير على الطريق الذى اختاره الله من أول رسول
﴿ **وما جعل عليكم فى الدين من حرج . ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا** ﴾ . . . . آخر سورة الحج

وبهذا كان المسلم هو الذى يتبع محمد ﷺ ، ويؤمن باخوانه السابقين ، ويحس عظمته من خلال ايمانه برسوله وبالميراث الضخم الثمين الذى ورثه من جميع الأنبياء والمرسلين .
ولا عجب ، فقد تجمعت فى يديه ثرواتهم الروحية ، والتقت عنده فضائلهم ، وعاشوا جميعا فى قلبه ، يؤمن بهم ، ولا يفرق بين أحد منهم ، وتلك عظمة يحسها المسلم ، ولا يحسها سواه ، ممن قعدوا فى الطريق ، ولم يواصلوا السير فيه حتى نهايته ، وفرقوا بين رسل الله ، وقطعوا السلسلة التى صنعها . . . فكان لهم الحظ العاثر أن أنكروا بعض رسل الله ، بل نالوا منهم ومن فضائلهم ، وحرموا أنفسهم من أن

يستظلوا بمظلة الرسل جميعهم .

وكان هذا الموقف من المسلم هو ما أراده الله منه ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فإنما هم فى شقاق ﴾ البقرة ١٣٦ ، ١٣٧ .

﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله . وقالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ ٢٨٥ - البقرة

• • •

● أهل مكة :

ولما كان هذا شيئا جديدا مصادما لما عليه أهل مكة الذين نبت الدين الجديد بينهم كانت عناية القرآن موجهة أولا لبناء هذه القاعدة . . عقيدة التوحيد الخالص فى النفوس بما نزل من سوره وآياته ليهد بها جدار الشرك الراسخ فى النفوس ، وليمحو عن الانسان عار الخضوع لغير الله ، كما كانت عنايته بالفضائل الأساسية التى لابد منها لمن يؤمن بخالقه ويخلص له فى عبادته . واتجه الرسول ﷺ بآيات القرآن التى نزلت تؤسس العقيدة فى النفوس يبلغها ، ويتحدث للناس بما يفيضه الله عليه من أحاديث ، يشرح بها القرآن ، ويوضحه ، ويؤكد مراميه ، ويربى مدرسته الأولى التى التفت حوله وآمنت به ، على هذه العقائد والفضائل ، حتى أصبح كل واحد منهم - على قلتهم - حبلا أشم فى رسوخه ، صلبا فى ثباته ، يتقبل العذاب فى سبيل عقيدته بصدر رحب . بل يستعذبه ، لأنه طريقه الى الله والى جنته . . . .

وتاريخ السيرة يروى لنا تفنن المشركين فى مكة فى تعذيب المسلمين الضعاف الذين آمنوا برسالة محمد ﷺ ، وكان تعذيبا وحشيا أفضى الى استشهاد من استشهد منهم ، دون الرضا بالنطق بكلمة يُشتم منها الكفر بمحمد ورسالته ، واستقبلوا العذاب أشكالا وألوانا ، ولم يتلفظوا بكلمة ترضى طغاة مكة . وتغضب الله ورسوله ، مع أنهم كانوا فى حل من أن يقولوها تحت وطأ التعذيب ﴿ الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ﴾ النحل / ١٠٦

نعم تحملوا فى مكة ألوانا من الحرمان ، ومن الاضطهاد والتعذيب ، وما تزعزعوا أو ضعفت فيهم عزيمة ، أو لان منهم جانب . . لأن عقيدة الايمان بالله ورسوله ، وبما جاء به ، ملأت عليهم كل حياتهم ، وسمت

بهم فوق كل ما فى هده الحياة من شدائد ، أو من معريات ، وكان الرسول ﷺ لهم نعم القدوة والقائد ، فقد عرض عليه الملك والمال وكل المغريات ، ليتزحزح عن موقفه ، ويهادن الباطل . فكان رده عليهم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هدا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه .

وفى هذا الجو الذى ساد فيه الشرك ، ومظاهره الباطلة ، وهو مسنود بقوة المال والرجال ، برز هذا الصنف الحديد من الناس الذين يؤمنون بالله الواحد . ويعزفون عن كل باطل ، ويسمون بأخلاقهم عن السفاسف . . . ويهزءون بالصعاب والشدائد . . فى سبيل ما يؤمنون به . قال المشركون لأحد أصحاب محمد ﷺ ، وهم يعذبونه العذاب الأليم : أتحب أن يكون محمد فى موقعك هذا ، وأنت ناعم بين أهلك وعيالك ؟ فقال لهم ، وهو يتأوه من العداب النازل به . والله ما أحب أن يشاك محمد بشوكة ، وهو فى مكانه الآن ، وأنا هنا فى هذا العذاب . وخرجت امرأة الى ظاهر المدينة تستقبل الجيش العائد المهروم من أُحد ، فسألت أولا عن رسول الله ﷺ . وكان لها أولاد فى المعركة لم تسأل عنهم ، فقالوا لها إن رسول الله ﷺ بخير . وإن أولادك قد استشهدوا ، فقالت : كل مصاب بعد حياة الرسول ﷺ هين . . .

وتآمر كبير المنافقين فى المدينة عبد الله بن أُبَى أبن سلول على رسول الله والمسلمين . . فتحدثوا بضرورة قتله جزاء له على تآمره ، فتقدم ابنه المؤمن – عبد الله – الى رسول الله ، يناشده أن يتركه هو يقتل أباه – إن كان لابد من قتله – خوفا من أن يقتله مسلم ، فتثور فى نفسه حميته لأبيه ، فيقتل قاتله ، فيكون قد قتل مسلما بكافر ، فيدخل النار ! !

ويأتى أبو سفيان المشرك إلى المدينة فى سفارة لأهل مكة ، بعد أن أحسوا حطر نقضهم لعهد الحديبية ، فلا يجد أمامه بيتا يظنه يرحب به حيرا من بيت ابنته أم حبيبة زوج الرسول ﷺ ، فيقصده ، ويدخل عليها ، ويتجه الى فراش الرسول ﷺ ، ليجلس عليه ، فتسارع ابنته إلى طيه ،

حتى لا يجلس عليه ، فقال لها أبوها : هل تنحيه عنى ضنّا به على ، أو ضنا بى أن أجلس على مثله . فقالت : بل ضنا به عليك ، لأنه فراش الرسول ، ولا أحب أن يجلس عليه مشرك نجس ، مثلك . . . ويغرق أبو سفيان فى الدهشة من هذا الذى يسمعه من ابنته ! . . .

ويتعرض الرسول ﷺ فى غزوة أحد لنبال قريش حتى تصيبه النبال ويقع على الأرض ، فتسارع إحدى الصحابيات لحمايته والدفاع عنه ، وترمى القرب التى كانت فى يدها تسقى منها المسلمين ، والرسول ﷺ يقول لها مشجعا ، ومدركا تماما موقفها ؛ ارم فداك أبى وأمى .

ويسارع أحد أصحابه فيحتضن الرسول ، ويجعل من جسمه وظهره حماية له ، والنبال تنهال على الرسول فتصيب ظهر صاحبه ، وهو لا يتزحزح عن موقفه حماية لرسول الله منها . .

إيمان بالله ورسوله ، استعلى به المؤمنون على كل ما فى الحياة ، لا استعلاء تكبر ، ولكن استعلاء استغناء به عن الحياة وعن كل ما تزخر به ، فى سبيل ايمانهم ، وطلباً لما عند ربهم . . .

وتبرز بهذا شخصية المسلم الأول ، كما صنعه الله ورسوله ، انسان ذابت كل أطماعه وشهواته وحاجاته فى بوتقة الايمان ، فيقيس كل خطوة يخطوها . وكل خاطرة تخطر له ، بمقياس ايمانه بالله ورسوله ، وينام ، ويصحو ، ويتحرك ، ويسكن ، وهو لا يطلب شيئا الا رضا الله ورسوله ، إذا تهيأ للنوم ذكر الله ، وقال يناجيه ، ويثنى عليه ، اللهم بك وضعت جنبى ، وبك أرفعه

واذا استيقظ من نومه ، ورأى تباشير الصبح ، ذكر الله ، ونطق لسانه وهتف قلبه : أصبحت وأصبح الملك لله

وإذا خطا خطوة أو بدأ عملا ، ذكر الله وقال : باسم الله ، فهو فى كل حركة وسكون متجه لله ، وذاكر له ، ومسبح بحمده ، هو عبد ربانى مستظل دائما بظل الله ، مستهين بما وبمن سواه ، لا استهانة احتقار واذلال ، ولكن استهانة استغناء ، والانسان هذا استغنى عن شيء ، أو

عن أحد ، ملك نفسه وإرادته ، وكان زمامه فى يده . فكثيرا ما اذلت الحاجة أعناق الرجال . .
وإذا أظهر الإنسان حاجته لشيء أو لأحد قد يصير هو مملوكا لحاجته فليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس ، كما يقول الرسول ﷺ . . .
ويصير المسلم بهذه الروح - كما قلنا - جبلا فى شموخه ، وفى ثباته ورسوخه ، تحكمه وتسيره عقيدته ، ولا يحكم أو يتحكم هو فى عقيدته يشكلها حسب هواه ، وحاجته ، بل هى التى تملكه وتسيره . .
وهو بايمانه هذا أو بحبه لله ورسوله ، يجد راحة ، بل لذة . تصغر أمامها كل لذات الحياة ، لأنه تعلق بالقوة الأعلى ، المتحكمة فى هذا الكون ، وربط نفسه بها ، وأحس بايمانه وبحبه أن هذه القوة تتجاوب مع حبه ، فتحبه أيضا وترعاه ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ آل عمران / ٣١

وما أسعد الانسان حتى حين يحس أن الانسان العظيم الذى يحبه ويخلص له ، يعرف عنه هذا ، ويبادله آياه ، ويشكل أعظم ، ويغدق عليه ويرعاه ، فم بالك اذا كان هذا الذى يحبه المسلم ، ويجعله غايته ، هو الله مالك الملك ، مالك الدنيا والآخرة ، قلوب العباد ونواصيهم بيده . . اذا أراد شيئا فانما يقول له كن فيكون ؟
ان المؤمن بهذا الاحساس يشعر بلذة ، تعلو على كل لذات الحياة ، ويعيش فى سعادة يحس أنها قمة السعادة ، ان عاش عاش فى جوها ، وان مات مات فى ظلها أحسها وانتشى بها ، وهو لا يزال على عتبات الحياة الأخرى . وما يبتغى الانسان غير هذا فى حياته هذه أو حياته الآجلة ؟ . . . انها قمة السعادة . . .
وفى نشـــوة الاحساس بهذه السعادة يستصغر أمامه كل متعة ، وكل شهوة ، وكل حاجة ، لا تغذى هذه السعادة وتنميها . . . وفى نشوة الاحساس بهذه السعادة يستهين بكل شدة فى الحياة تعترضه ، حتى

الموت لا يبالى به لأنه فى نظره ، خطوة ينتقل بها من سعادة محدودة ، الى سعادة لا حدود لها . . . وهو لهذا يسارع اليه ، لا مسارعة المنتحر ، ولكن مسارعة المستشهد المشتاق إلى الجنة دفاعا عن عقيدته ، وفى سبيل حبه ، وطلبا لما عند الله ، وهو أكبر وأزكى . . .

حينما سمع أبو دحانة صاحب رسول الله ، قوله ﷺ ، يذكر للمؤمنين الحقيقة التى يعيشونها ، والتى تنتظرهم فى غزوة بدر : والله ما بين أحدكم وبين الجنة إلا أن يمسك بسيفه فيقاتل فيقتل فى سبيل الله رمى بتمرات فى يديه ، كان يسد بها بعض ما أحسه من الجوع ، وصاح فيمن حوله : انى - إذاً - لخاسر ، اذا أنا انتظرت بعيدا عن الجنة حتى آكل هذه الثمرات ، وأضيع وقتى فى أكلها ، وامسك بسيفه ، واندفع يقاتل ، ويقتل من المشركين من يتعرض لسيفه والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ﴿ فرحين بما أتاهم الله من فضله ﴾

وفرحين أيضا بمصير أحوانهم الذين لم يلحقوا بهم وبما سينالونه من ، فوز حين يلحقون لهم . ﴿ ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ آل عمران ١٦٩ - ١٧١ .

والمسلم هو الذى يصنع لنفسه وبايمانه هذه الهالة من الحياة السعيدة ويعيش بهذه التشخصية القوية المطمئنة الراضية فى حالتى اليسر والعسر ، المتعالية على الصغائر ، المتعلقة بعلو الله وجلاله ، وذلك بعقيدته وايمانه بربه وبرسوله ، حتى لنجد أحد المؤمنين الصالحين يبوح بسر حياته وما يشعر به من سعادة ، فيقول : اننا نعيش فى سعادة لو علمها السلاطين أو الملوك لقاتلونا عليها وهى سعادة الايمان بالله ورسوله ، والعيش فى جو الحب لله ولرسوله ، والشعور بالقرب من الله ورسوله . . .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته . ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم ﴾ الحديد / ٢٨/

نعم عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له ، رواه مسلم . وهكذا يصنع الايمان صاحبه . ويجعله عظيما فى دنياه وآخرته .

• • •

نقطة انطلاقة العمل

ومن الايمان – القاعدة الصلبة – ينطلق المؤمن فى حياته الى الحركة قوة وفعلا ، حركة تتناسب طرديا مع القاعدة وصلابتها . . .

ومن الايمان – مركز الطاقة الكهربائية فى الانسان – تسرى هذه الطاقة فتبعث النور ، وتبدد الحيرة ، وتولد الحركة ، وبمقدار قوة الطاقة فى المركز تكون قوة الاشعاع وتكون قوة الحركة . . . قوة تتناسب طرديا مع قوة المركز . .

ولذلك كانت قوة الايمان ، او قوة القاعدة والمركز ، مطلبا من مطالب المؤمنين وأملا من آمالهم ، وصفة من صفاتهم ، ونعمة من نعم الله عليهم ، الانبياء والمرسلين وهدا هو سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى حوار مع ربه .

﴿ واذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبى . ﴾ الآية ٢٦٠ البقرة

واطمئنان القلب لله درجة من أعلى درجات الايمان ، ولذلك سعى اليها ابو الانبياء والمرسلين . .

وكانت زيادة الايمان او زيادة الطاقة فضلا ونعمة من الله على المخلصين ﴿ هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ﴾ الفتح / ٤

﴿ ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما ﴾ الاحزاب ٢٢

﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيمانا ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ﴾ آل عمران ١٢٣ ، ١٢٤ **﴿ انما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴾** الانفال / ٢ - ٤ .

ان قوة الطاقة المركزية تغذى فروعها حسب قوتها ، ولا تنفذ هذه الطاقة بما تمد به الفروع من تغذية ، بل إنها لتزداد قوة بقوة فروعها وتزداد صلابة بقوة رد الفعل عليها . . .

فالأيمان الذى يملأ القلب يجعله يخفق لذكر الله ، وكذلك الاستماع لايات الله المنزلة التى تذكر به ، والنظر فى آياته الكونية فى خلقه ، وهذا يرتد على القلب بشحنة جديدة تزيده ايمانا ويقينا **﴿ ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ﴾** والمؤمنون حقا ، يثبتون أمام الشدائد حتى تمر بهم ، فلا تستفند شيئا من طاقتهم الايمانية ، بل تريدها قوة وصلابة . . كأنها الذهب لا تزيده النار الاصفاء ونفاسة **﴿ فاخشوهم فزادهم ايمانا ﴾** وما زادهم إلا إيمانا وتسليما .

وهكذا يكون التفاعل بين المركز وما ينبعث منه ويتفرع منه .
ونتصور مثل هذا او قريبا منه فى عالمنا الحسى ، جماعة أو طائفة لها مركزها القوى الفعال ، فتمتد هذه القوة الى فروعها ، فتحفل بالنشاط والحركة وتعود بالتالى قوة الفروع وفاعليتها ، فتضفى على المركز قوة فوق قوته ، وتأثيرا فوق تأثيره فالنقابة المركزية القوية ، تمد فروعها بالقوة ، وقوة النقابات الفرعية وهيمنتها تعود بالتالى الى النقابة المركزية وتقويها . .

ونتصوره كذلك فى شجرة باسقة ، لها جذورها الضاربه فى الارض ، المتشعبة فيها ، ولها جذعها القوى ، وللجذع فروعه ،

وللفروع أغصانها وأوراقها وثمارها . . وبمقدار قوة الجذور ، يقوى الجذع ، وتقوى الفروع والاغصان والأوراق والثمار . . تقوى كلها على ما تغذيه به الجذور ، ويسرى فى الجذع والساق حتى الأوراق والثمار . . فتعطى الظلال الوارفة ، والثمار الطيبة ، وهذه الأوراق والأغصان والفروع التى عاشت ونمت على ما تغذيه به الجذور ويمدها به الجذع تقوم من ناحيتها بدور لها ايجابى فى مد الشجرة كذلك بالقوة ووسائل النمو والاثمار ، كما يقرر علماء النبات .

ولذلك ضرب الله بها المثل للكلمة الطيبة ، كلمة الايمان لا اله الا الله محمد رسول الله . التى تمثل القاعدة الصلبه التى يرتفع عليها عمل المؤمن ويؤتى ثمرته عند الله ﴿ **اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾ فاطر / ١٠

يقول المولى جل شأنه : ﴿ **ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون** ﴾ ابراهيم ٢٤ ، ٢٥

وهكذا الايمان وثماره . . .

وعلى عكس ذلك الكفر والجحود بالله ورسوله ، لا يبنى قاعدة صالحة لان يقوم عليها أى بناء قوى سليم ، ولا يمثل إلا شجرة لا أصل لها ولا جذور تقوم عليها وتغذيها ، فتذبل سريعا ، وتكون طعاما للنيران . . ومن أين تستمد القوة او وسائل النمو . . وقد فقدت اصولها ؟ إنها تستحيل الى مجرد صورة لا روح فيها ، ولا غذاء سليما يسرى فى جذعها وفروعها . . . ولا يتصور ان تأتى بثمر أو ظل ينفع غارسها او ينفع الناس حوله .

ولهذا يقول الله عن هؤلاء الجاحدين فاقدى الايمان بالله ﴿ **وقدمنا الى ما عملوا من عمل جعلناه هباء منثورا** ﴾ الفرقان ٢٣ ، **اولئك الذين ليس لهم فى الاخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ماكانوا**

يعملون ﴾ هو / ١٦ (ذلك لان اعمالهم كلها فقدت قاعدتها الاولى ، قاعدة الانطلاق السليمة او ان شجرتهم التى غرسوها لم يكن لها جذور سليمة تغذيها وترويها ولا ساق تقوم عليها حتى تؤتى ثمارها الطيبة . فكان مصيرها ان تكون غذاء للنيران ، ﴿ **اولئك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار** ﴾ وقد تعب الغارس فيما غرس ، وذهبت عنايته بغرسه هباء .

﴿ **وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون** ﴾ لقد فقد الكافرون بالله وسائل الاتصال الأولى بالله بمركز الطاقة فكيف ينتظرون ، بعد ذلك ان يكلمهم الله أو ينظر اليهم ، ويقبل عملهم ويقدر جهدهم : أولئك لا خلاق (لا حظّ) لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله وقد ضرب الله مثلا للكافر بالشجرة كما ضرب مثلا للمؤمن بالشجرة ايضا ، فقال : ﴿ **ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار** ﴾ ما لها من قاعدة وجذور ، فكيف تعيش ويكون لها ثمار ؟ . .

فالمؤمن ينطلق من قاعدة صلبة تمده بالحركة والحياة المثمرة وتزداد قاعدته صلابة وفاعليه على مر الايام بما يقوم به من عمل ، وما يبذله من فكر فى خلق الله وآياته ، ومن حرص على تقوية وسائل الاتصال بربه بالفكر والعمل يسبح فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقامة الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ، وكلما شعروا بقوة الاتصال كانوا أشد خوفا من أى انفصال - فمن ذاق عرف ومن حرم انحرف .

والمؤمن الذى يذوق حلاوة القرب من ربه يعرف قيمة هذه الحلاوة ويحرص عليها اكثر من حرصه على حياته ، ولا يقوم بعمل يقطع عنه لذة

هذه الحلاوة . . . بل ولا يصبر على الحرمان من هذه اللذة ، فما أشد الظلام والحيرة والتخبط حين ينقطع أو ينفصل التيار ، ولا نشعر بقيمة النور إلا حين ينقطع ويعم بدله الظلام ، والمؤمن حريص على دوام - الاتصال ، حريص على وجود محطات تقوية للتيار ، حتى تقوى الشبكة ، ويظل التيار على مستواه ، بل يزداد ولا يتعرض لضعف أو انقطاع . . .

إن الايمان هو المحطة الأم المولدة للقوة الفاعلة ، الباعثه للتيار المولدة للنور والحركة ، والاعمال مع أنها متولدة عنها إلا انها مع ذلك تعتبر محطات تقوية لهذا التيار ومحطات تجديد له تزيد من فاعليته .

ان الايمان هو جهاز الارسال المركزى وعلى حسب قوته يمتد ارساله ويتسع ، والاعمال اجهزة استقبال وتقوية لهذا الارسال المركزى ، تستمد منه وتزيده فاعلية فالمؤمنون ﴿ **إذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا** ﴾ وهم فى مجابهة الشدائد يثبتون بما فى قلوبهم من ايمان . وهذا الثبات يجدد ايمانهم وتزيده المجابهة حيوية وقوة وصلابة ﴿ **فاخشوهم فزادهم ايمانا** ﴾ ﴿ **وما زادهم الا ايمانا وتسليما** ﴾ .

وهكذا تتفاعل الأعمال مع الايمان ، كما يتفاعل المركز مع فروعه فمركز توليد الطاقة بدون شبكة تتفرع عنه وتظهر فاعليته جهد مكبوت ضائع قاصر على اجهزة التوليد التى تدور . ولا اثر لها . وشبكة بدون مركز يمدها بالطاقة التى تسرى فيها شبكة ميتة لا أثر لها . . .

وهكذا تظهر قيمة ارتباط الاعمال بالنسبة الى الايمان والعقيدة . . .

ولعل هذا يساعدنا على فهم حديث رسول الله ﷺ الذى صور لنا فيه قيام بناء الاسلام على القاعدة الأم وعلى اعمال مهمة ذكرها ، وسمى العلماء القاعدة والاعمال معا أركان الاسلام . . . مما يعطينا انطباعا قويا بقيمة الاعمال من صلاة وزكاة . . . الخ بجوار العقيدة

وذلك فى قوله ﷺ (بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج) البخارى ومسلم .

حتى ان كثيرا من العلماء قالوا بان الايمان عقيدة وعمل معا . . . .

واذا كان لكل عمل فائدته وجداوه فى مجاله ، فإن الاعمال تتفاوت بالنسبة لاثرها فى الحياة وفى تقوية الايمان وتجليته فى قلب المؤمن ، ولذلك وضع الرسول ﷺ هذه الاعمال بخصوصها بجانب القاعدة وهى شهادة باهميتها وبعظم منزلتها عند الله ، وعظيم اثرها فى قلب المؤمن ، وفى مجال الحياة . . . وليس ذلك تهوينا من شأن الاعمال الاخرى ولكنه مجرد ترتيب وتقويم للعمل وآثاره . . . وكل عمل - كما قلنا - له فائدته وجدواه فى تربية المسلم وإبراز شخصيته .

وقد تفنن شراح هذا الحديث فى بيان حقيقته وتقريبه للافهام فضربوا مثلا للاسلام بخيمة دائرية كبيرة تقوم على أعمدة ، وتأخذ شهادة أنه لا اله الا الله منها - وهى الاصل - موضع العمود المركزى الأوسط الذى يرفعها من وسطها ، وتأتى الاركان الاخرى بمثابة الاعمدة الجانبية ، التى تكمل رفع الخيمة كلها من جميع الجوانب ، كل عمود له منطقته ، حتى ترتفع الخيمة وتقوم بجوانبها الاربعة حول العمود الاوسط . وتأخذ الخيمة شكلها ، وتؤدى وظيفتها . . .

والخيمة بدون العمود الاوسط لا ترتفع ولا تقوم ، وبه وحده يرتفع وسطها ويبرز شيء من معالمها ، ولكن تبقى جوانبها هابطة على الأرض ، ولا بد لها من أعمدة جانبية ترفعها ليكمل شكلها ، ولكن لا بد مع هذه الاعمدة من حبال وأوتاد تشدها وتثبتها ، ولا بد للخيمة من فرش وتهيئة حتى تستكمل عدتها وشكلها ، ويأوى الناس اليها مستريحين آمنين ، وتلك هى الأعمال الاخرى . .

ذلك مثل الاسلام او الايمان فى اساسه وعموده الاول والمهم وهو الشهادة ثم فى الاعمدة المهمة كذلك المحيطة بالأساس ، ثم فيما يحمله ويكمله من طيب الاعمال ومكارم الاخلاق ، وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون .

****

واذا كانت الاركان الاربعة : الصلاة والزكاة والصيام والحج تلتقى كلها عند هدف واحد وهو اقامة بناء الاسلام وأركانه ، فان لكل منها هدفا ووظيفة فى ابراز هذا البناء ، والمسلم حريص على أن يقوم هذا البناء فى نفسه ، ليكون للعنوان : - المسلم - دلالته الحقيقية فيه ويكون للشهادة أثرها الايجابى .

• • •

* **الصــلاة :**

مناجاة العبد لربه ولقاؤه به بخاطبه ، ويثنى عليه ويتقرب له ، ويرجوه ويستقبل الله عبده من خلال هذه المناجاة وقد تهيأ لذلك بالطهارة فى المظهر ، ومحاولة ذلك فى المخبر . . . يتذلل له ويرجوه ، ويمضى أمام ربه لحظات ، تطول أو تقصر فى هذا اللقاء الذى يأخذ به شحنة روحية ، ويتكرر ذلك اللقاء والشحن الروحى خمس مرات فى اليوم ، وفى كل مرة يتهيأ المسلم له ، ويعد له عدته ، ويستحى أن يلقى الله بذنب يصر عليه ، ويراجع نفسه ليحاسبها على ما يكون قد صدر عنها من خطأ فيرجو ربه أن يسامحه فيه ، ويغفره له ويحذر أن يكرره ، وبذلك ينظف نفسه أولا بأول فيشعر بسعادة وأطمئنان ، فى آخر يومه ، بعد ان وقف فى حضرته يناجيه ويدعوه خمس مرات وباب ربه مفتوح له يرحب به . .

« إن سألنى لأعطيته ، وإن استعاذ بى لأعيذنه » « أجيب دعوة الداعى إذا دعانى » « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » « ونحن اقرب اليه من حبل الوريد » وفى مقام القرب يدعو ربه ، وقد تهيأ نفسيا له وامامه وعود الله ، وكرمه ورحمته بعباده . . . حتى اذا استقبل نومه ، وأوى الى فراشة شعر بالراحة النفسيه الى انه قد ادى واجبه الاول نحو ربه ، واحس طمأنينة يسلم نفسه للنوم فى جوها مستريحا ذاكرا اللهم بك وضعت جنبى وبك أرفعه ويرسم لنا رسول الله ﷺ هذه الصورة الطيبة الجميلة حين يقول أرايتم لو أن نهرا بباب احدكم يغتسل فيه فى اليوم والليلة خمس مرات ، هل يبقى عليه من درن قالوا : لا قال كذلك الصلاة . . .

فالمسلم حين يحرص على ان يقف امام الله ، وعلى استقبال الله له عدة مرات فى اليوم ، يكون أشد حرصا على التخفيف من ذنوبه على الا يلقى ربه فى صلاته وهو مثقل بما أقترف من سيئات ، فالانسان حين يعرف أنه سيقابل عظيما يبذل جهدا ويمضى وقتا فى التهيؤ لهذا الاستقبال ، بشكل نظيف مقبول ، وبصورة طيبة فيما يقوله ويفعله . . . ويحرص على الا يبلغ هذا العظيم عنه إلا كل طيب من القول والعمل ، فما باله اذا عرف انه سيقف امام ربه ، بين آونة واخرى من يومه . . . . وهو اذا نجح فى اخفاء حقيقة عن هذا العظيم ، او نجح فى خداعه ، فلن ينجح فى اخفاء شيء عن عالم السر والنجوى .

ان الصلاة بهذا المعنى ، وعلى هذه الحقيقة التى شرعها الله تكبح دائما جماح الانسان وتحد من اندفاعه . وراء اى شيء يلوثه وهو بعد قليل سيستقبله الله ، ولا بد أن يكون نظيفا حسّا ومعنى فى هذا الاستقبال وبهذا تتمثل حقيقة قوله تعالى : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ ٤٥ / العنكبوت .

وعلى هذا تتكون نفسية المؤمن وتظهر معالمه وشخصيته امام الناس : انسانا ذاكرا لله ،مراقبا له مقبلا على واجباته معاشرا للناس بالمعروف فيما يقول ، وفيما يفعل . . حذرا من ان يقف امام ربه وعليه ذنب يثقل كاهله ، ويشوه صورته وموقفه . فرب قائم ليس له من قيامه الا التعب ومن هذه الأرضيه الطيبه . . تجاوز الرسول ﷺ لمسلم جديد تعهد بالصلاة ، ووجد فى نفسه شيئا من الزكاة تجاوز عن الزامه بالزكاة ، مكتفيا بأخذ العهد عليه باداء الصلاة ، فسأل صحابى رسول الله : وكيف ذلك ؟ قال عليه الصلاة والسلام . ان صلاته ستحمله او ان صلاته ستنهاه . اى ستحمله على اخراج الزكاة وستنهاه عن تركها . . .

وهكذا تفعل الصلاة وتترك طابعها على شخصيه المسلم .

● الزكـــاة

ويأتى الركن الثانى او العمود الثانى الفرعى وقد تركت الصلاة طابعا فى المؤمن فيجد نفسه متحاوبا مع المجتمع حوله فيحس احساسه ويراعى المحتاج فيه ، بجزء من ماله فرض الله عليه أن يتنازل عنه للمحتاجين ، ولمصارف الدولة ، فيقوى فيه روح التعاون والعطاء ، وينزع من نفسيته روح الشح والبخل وعبادة المال ، فيجد من السهل عليه أن يتبرع بما هو اكثر من المفروض عليه ، مواساة لاخوانه وعونا لهم ، وسداً لحوائجهم ، وطالما استعبد الانسان احسان ، فتتعاطف النفوس وتتواد ، إن لم تتحاب ، وتختفى منها سموم الحقد والحسد .

فيعيش المجتمع بروح الانسان الواحد فى سرائه وضرائه ، إذا اشتكى بعضه اشتكى كله ، لا يبيت فيه انسان شعبان مكتفيا ، وجاره جائع ومحتاج إلى جانبه ، وهو يعلم حاله .

وتبدو بذلك شخصية المسلم انسانا معطاء سمحا يعيش باحساس الاخرين ويتفاعل معهم ، فيعيشون متجاوبين معه ، شاكرين ومقدّرين ، ومجتهدين فى أن يرتفع مستواهم ويفيدوا الاخرين كما أفادوه ، ويساعدهم كما ساعدوه . . . فيدور المال دورته بين الغنى والفقير ، ويترك أثره فى التنمية والنشاط الاقتصادى ، وتتحقق بذلك حكمة الله كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم

والمسلم حين يأخذ عن حاجة وضرورة ليرتفع بمستواه ، ويسير مع الركب القوى ، وهو فى قرارة نفسه يعلم ان اليد العليا خير من اليد السفلى الآخذة . وإن المؤمن القوى فى أى جانب طيب فى الحياة خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وان العمل ولو فى جمع الحطب من

الصحراء وبيعه . خير من استقبال أعطيات الناس ، او من سؤالهم ، وهو حين يعلم هذا ويطبع نفسه عليه يستقبل أعطية اخوانه ، وكله عزم على استغلال ما يصل الى يده من عطاء فى تغيير حاله ، والارتفاع بمستواه ، بالعمل والجهد ، ولعل هذا سر من أسرار قوله ﷺ ما المعطى عن سعة بأعظم أجرا من الذى يتصدق عليه او كما قال ، فاذا كانت الزكاة صور جميلة للبذل والمشاركة النفسيه مع المجتمع ، فهى تساعد الفقير على تحسين معيشته ، والاحساس بلذة الحصول على حاجته ، فيختفى الحقد من نفسه ، ثم يعمل ليرتفع بمستواه من كد يده ، وهكذا تترك الزكاة اثرها وطابعها فى شخصية المسلم معطيا أو آخذا ، وتشارك بذلك فى بناء هذه الشخصية وشخصية المجتمع كله من زاوية غير الزاوية التى تحققها الصلاة .

• • •

● الصيام

ويأتى الصوم : لينفرد ويختص بزاوية اخرى يتعهدها فى شخصية المسلم فيربى فيه روح الصبر ، وتحمل الشدائد ، وقوة المقاومة ، كما يربى فيه روح المراقبة والخشية من الله بعيدا عن شبهة إرضاء الناس ونفاقهم ، فالصلاة فيها مظهر ، وكذلك الزكاة ، لكن الصوم لا يمكن ان تكون فيه شبهة المظهر والنفاق . . الصوم هو الصوم ، معاملة سرية خاصة مع الله لا يتحقق الا على هذا الشكل . . فاذا صمت حقيقة فأنت مراقب لله وحده بلا شك ، ولا يمكن اتهامك بمنافقة الناس ، كما يمكن فى الصلاة والزكاة ، لما فيها من جانب ظاهرى مكشوف . . . يراه الناس ويحسونه ، ويمكنهم أن يتحدثوا به ثناء على صاحبه . ولذلك كانت الصدقة السرية خيرا من العلنية ﴿ **إن تبدو الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤدوها الفقراء فهو خير لكم** . . ﴾ الآية ٢٧١ البقرة . . ومدح رسول الله المسلم الذى يتصدق فى سرية تامة حتى لا تعلم شماله ما فعلت يمينه ، لبعد ذلك عن المظهر وشبهة الرياء ومنافقه المجتمع . . لان السرية معناها صدق البنية ، وصفاء الاحلاص والاتجاه الى الله وحده . .

وبهذه السرية وهى خاصية الصوم ، يترك طابعه الروحى النفسى على المسلم ، فوق ما يطبعه به ، ويدربه عليه من صبر ومقاومة للشدائد والشهوات ولذائذ الحياة ،وذلك شيء يحتاجه المسلم ضرورة فى معترك الحياة فيقيم الصوم بذلك زاوية أخرى فى بناء شخصية المسلم غير ما تقيمة الصلاة والزكاة .

● الحـــج :

ويأتى الحج فيقيم الزاوية الاجتماعية الكبرى ويوسع دائرة الاتصال مع اخوانه المسلمين فى كل مكان ، ويخرج ذلك عن مساحته الاجتماعية الضيقة الخاصة بوطنه أو وسطه الذى يعيش فيه إلى الساحة الواسعة التى تضم المسلمين من كل قطر ووطن فيرتبط بهم ، ثم يؤكد عمليا ويخطو القدم ، وحركة اليد ، ومد البصر ، ما ظل طول حياته يسمع الحديث عنه ، والإثارة او الدعوة اليه وما ظل يتجه فى صلاته نحوه كل يوم خمس مرات على الاقل ، حتى ملأ جوانبه الحنين والشوق اليه ، ويرى الموطن الاول للاسلام ، والارض التى تشرفت باستقبال الوحى ، ونزول القرآن ، وميلاد الرسول ﷺ ، وساحات جهاده هو اصحابه الاخيار ، فيملأ قلبه وعينيه من هذه الذكريات العزيزة عليه ، فيعود وقد عبىء بشحنة قوية من الايمان ، وبعزم قوى على أن يسير فى حياته سيرة الأخيار ، بعد ان غفر الله له ذنوبه ، وكفّر سيئاته . يعود وقد تزودّ بزاد جديد يستقبل به حياته ، يعود وقد اتسع افقه ، وعرف من أحوال اخوانه المسلمين فى العالم ما لم يكن يتاح له ان يعرفه وهو قابع فى وطنه .

أربعة أركان أو أعمدة تقوم حول العمود الفقرى تسنده وتقويه وتغذيه وكل منها له قوته ، وله طعمه ، أو غذاؤه الخاص ، فيتكون منها كلها المواد الاساسية اللازمة لقيام بناء الاسلام .

ولكن البناء إذا قام يحتاج كما سبق الى مكملات يمكن أن تقربها للاذهان بتسميتها « بتشطيبات » لا بد منها ، لكى يؤدى البناء مهمته ويبدو جميلا مريحا ، ثم لابد من عناية دائمة بصيانته وتجديده ، حتى إذا نظرت اليه سرك منظره ، واذا أويت لرحابه ، وجدت فيه الراحة والسكون ، وتنظر حولك فى جنباته فتجد كل شىء يريحك ويسرك قائما

بالبناء الأصيل ملتصقا به ، أو مستظلا بظلاله ومحتميا بحماه . .

وهكذا نجد ان الاسلام وان كان يبنى ويقام على هذه الاركان فان هناك اعمالا اخرى لابد منها ، كى يكمل البناء ، ويأخذ الشكل الجميل المتناسق الذى يجذب النفوس ويسر الناظرين .

ومن اجل هذا جاءت تعاليم القرآن الكريم والرسول ﷺ الخاصه بالمعاملات اليومية وبالاخلاق وآداب السلوك ﴿ ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون ﴾ البقرة .

﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب الجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ﴾ النساء .

﴿ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ .

﴿ ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ﴾ الأنعام ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ﴾ النور ﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ﴾ النور ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ الاسراء ﴿ اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ﴾ الاحزاب . انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ، المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه قول رسول الله ﷺ .

ولسنا بصدد سرد كل الآيات والأحاديث التى ترسم الطريق للمسلم ، وتربى فيه المثالية التى يفتقدها الناس ، فإن ذلك لا يتسع له مقام كهذا ، ولذلك نكتفى بالوقوف عند بعض آيات وبعض أحاديث كمثال لما حفل به القرآن والسنة من توجيهات وتعليمات .

عباد الرحمن

لقد رسم القرآن بعض جوانب الشخصية للمسلم وهو يذكر اوصاف المسلمين الذى يسميهم عباد الرحمن الذين يمثلون المسلم الصادق فى الحياة فقال :

١) ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا** ﴾ بلا تكبر ولا تعال على الناس أو غرور وانتفاخ ﴿ **إنك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا** ﴾ فأنت أنت فى حجمك ، وقدراتك ، تؤذيك الشوكة ، ويزعجك أقل تغيير فى صحتك ، ويقلق راحتك عطش أو إمساك أو حصر بول ، تجهل ما وراء ظهرك ، وما غاب عن عينك ، بل تجهل نفسك وجهازك الداخلى ، الذى يمدك بالحياة والحركة ، وتقتصر قدراتك عن أشياء كثيرة ترغب فيها فلا تنالها ، فما الداعى إذن للتكبر والتعالى على الناس بما حصلت عليه من فضل الله ، وبما تفقده بعد قليل ، ان كان مركزا أو منصبا ربما يتخلى عنك سريعا وتتمزق عنك غلالته ، وينظر الناس إليك على حقيقتك ، عاريا إلا من فضائل تكون قد تحليت بها أخلاق وجدها الناس فيك وقدّروك بها ، اعرف نفسك كما يعرف عباد الرحمن ، قدر أنفسهم ، فلا يتكبرون على الناس ان الله لا يحب المستكبرين .

فالمسلم الحقيقى هو الذى يعرف قدره وحجمه لا يعتمد على مال ولا على منصب أو نسب ، بل يعتمد على فصائله وأخلاقه وحسن معاملته للناس ، فذلك هو الرصيد الدائم له فى حياته ، وبعد مغادرته لدنياه ، والذكر للانسان عمر ثان، ويلتقى مع هذا ما ذكره الله من وصية لقمان لابنه ﴿ **واقصد فى مشيك** ﴾ بمعنى الاعتدال وعدم التكبر وعدم البطء ايضا والظهور بمظهر المسكنة والذلة حتى لا يظن بك

الضعف ، ولذلك ضرب عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا وجده يمتى فى هيئة مذلة ومسكنة ، ظانًا أن هذا هو الدين فقال : لاتمت علينا دينا أماتك الله .

٢) وهذا المسلم الذى عرف ربه ، وعرف نفسه وحجمه ، واعتمد فى حياته على فضائله وحسن خلقه ، لا يهتم بسفاسف الأمور ، ولا بالقشور ولا يصبا بما يناله من كلام السفهاء بل يردد فى نفسه هذه الحقيقة التى عبر عنها الشاعر حين يقول :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأن كامل

***

وشاعر آخر يقول :

لا يضر البحر أمسى زاخرا * أن رمى فيه غلام بحجر

***

فهو بهذا إنسان متسامح مع الناس ، ضارب صفحا عما يناله به السفهاء الجاهلون ، واقف عند إرشاد ربه ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون ﴾ بجهلهم وسفههم وتطاولهم ﴿ قالوا سلاما ﴾ سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين ، لا نرد عليهم ولا نعبأ بما صدر عنهم ، فكفاهم أنهم سفهاء ، فإذا جاريناهم فى كلامهم ، أو علقنا على ما يصدر منهم ، جرونا معهم الى مستنقع السفاهة الذى يغرقون فيه ، ويتلوثون به . . . فالسلامة فى أن نقطع حبل الكلام معهم ، ولا نتمادى فيه ، وندعو لهم بالهداية ، متمثلين موقف الرسول وقوله اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون ردا على تمادى اعدائه فى ايذائه والنيل منه ، وما خسر الرسول بذلك موقفا ، ولكنهم كانوا هم الخاسرين .

وإذا كان للمسلم أن يرد على السيئة بمثلها ، فان أمامه درجة أحسن من هذا ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله وكفى السفهاء

أن الله لا يحب الظالمين مثلهم ، فلا طريق أجدى مع هؤلاء إلا أن يكظم المسلم غيظه ، ويترك أمره الى الله ، ولا يفتح مع الجاهلين السفهاء كلاما ، ويتيح لهم أن يلوثوه بفضلات لسانهم . .

بل يسد فوهتهم بالسكوت والانصراف عنهم . . . وذلك هو الدواء المناسب لهذا الموقف ، يعرفه المسلم ويحرص عليه ، ويبنى عليه شخصيته فى مجتمعه ورحم الله امرءا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم والاعراض عن الجاهلين السفهاء وعدم الرد عليهم والعناية بكلامهم سلامة ، وتوفير للوقت .

٣) بل ان مما يتصل بهذا ويقرب منه وإن ذكرته الايات بعد ذلك منفصلا عن هذه الصفة من صفات عباد الرحمن ، أن المسلم لا يشغل نفسه بالكلام فيما لا يفيد ولا يجدى ، بل يحرص على أن يملأ وقته كله بالمفيد فى دنياه وآخرته ، ولا يعلق إلا على ما يستحق التعليق عليه إذا مروا باللغو (الفارغ من الكلام) مروا كراما ، لا يقفون عنده ولا يعنون به (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين القصص .

فالمسلم لا يعنى بكلام السفهاء ، ولا يرد عليه ، ولا يعلق على كلام اللاغين الذين يشغلون وقتهم بالعبث ، والكلام فيما لا يجدى ولا يقف عنده ، فشخصيته لا يليق بها مناقشة السفهاء والرد عليهم ، وحياته لا تتسع للغو مع اللاغين وإهدار وقته فى مجاراتهم فى لغوهم ، فالحياة جد ، وعمل وتفكير ، والفرد والمجتمع فى أشد الحاجة الى العمل والتفكير الجادين ، والوقت من ذهب ، ولا قيمة للمسلم الا بما يملأ به وقته من فكر سليم ، أو عمل مفيد مستقيم .

وإذا كان القرآن يوصى المسلم ويحبب إليه ألا يرد على السفهاء ، وان يمر باللغو مرّ الكرام ، فانه بذلك ، ومن باب أولى يوصيه ألا يكون

من هؤلاء السفهاء الجاهلين ولا من اللاغين الذين يعبثون ويضيع أوقاتهم وجهدهم فيما لا يفيد . . . ولا يضع نفسه موضعهم ، بل يتأبى شخصيته عنهم . ولا يمنعه ذلك من أن يستمع إلى ملحة يضحك لها او يمزح مع أمثاله مزاحا لا يهز شخصيته ، فلقد كان الرسول ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقا . . وكان يضحك حتى تبدو ثناياه .

ومع ما يحبه الله من عباده من تجاوز عن كلام السفهاء ، يحب من عباده أيضا أن يكونوا أعزاء على انفسهم ، لا يقبلون ضيما ، ولا يتجاوزون عن حق من حقوق الله ، وإن تجاوزوا عن حق أنفسهم ، فلقد كان الرسول ﷺ يتجاوز عن حق نفسه ، ولكنه كان اشد ما يكون غضبا اذا انتهكت محارم الله . . . وللمسلم فى رسوله قدوة حسنة .

٤) والمسلم الذى يعرض عن السفهاء ولا يشغل نفسه ولا وقته باللغو من الكلام يوفر جهده ووقته للإقبال على ربه ، وتأكيد الصلة به ، ومناجاته والخضوع له فى أفضل صورة للمناجاة والخضوع ، فى الصلاة يؤدى ما فرضه الله عليه منها ، ويزداد تقربا إليه بصلاة النوافل وتكرار القيام والسجود له حسب إمكانه وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يرى به ، ويده التى يبطش بها ، ولئن سألنى لأعطيته ، ولئن استعاذ بى لأعيذنه .

يعرف المسلم هذا ويحرص على ان يكونه ، حتى يعيش باستمرار فى ظل ربه ، وفى حماه ﴿ **والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما** ﴾ لا يفترون عن ذكر الله ومناجاته حتى والناس نيام ، فهم فى اى وقت من نهارهم أو ليلهم ومع عملهم لحياتهم يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والارض ، تظلهم الرحمة وتغشاهم السكينة ، فلا يتحركون حركة تبعدهم عن ربهم ، ولا يقولون قولا لا يحبه منهم ، ولا يشغلون وقتهم الا فيما يفيد

ويجدى من عمل ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ﴾ السجدة - ١٦

٥) والمسلم دائما يعيش فى جو ما يؤمن به من حساب ، وثواب وعقاب فى اليوم الآخر ، يعمل لذلك حسابه ، ويسأل الله يعمله وقوله ان يصرف عنه عذاب جهنم ، فهو مع ثقته برحمة الله التى وسعت كل شىء يؤمن كذلك بأن ﴿ من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ وأن من عدل الله أن يحاسب كل انسان على ما عمله ، ويعطيه جزاءه ، ومع أنه غفور رحيم ، هو شديد العقاب .

ومن هنا يظل المسلم فى خشية وخوف من الله ، مع إيمانه برحمته ، يدعوه خوفا وطمعا ، ويضبط أعماله على أساس هذا الميزان - العادل ، فلا يصدر عنه إلا كل خير ، واذا زلت به القدم سارع بالتوبة والرجوع الى الله ، وسؤاله أن يغفر له ويقيه عذابه . . . والانسان متى أحس بأن عليه رقابة تحصى عمله وأن حسابا دقيقا على ما يعمل ، يحاول باستمرار أن يجيد عمله ، ويخرجه على وفق القواعد والأصول الموضوعة له . . وتتربى عنده بذلك ملكة المراقبة والاجادة فى العمل . وهكذا يكون المسلم الذى يؤمن بربه ، ويؤمن باليوم الآخر وما فيه من حساب .

٦) وهو انسان معتدل فى كل تصرفاته يعرف أن خير الأمور الوسط ، حتى فى عبادة الله ، وأن المال وإن كان ماله ، فان تصرفه فيه يجب أن يكون بميزان معتدل ، فلا يبخل على نفسه ، ولا على من يعول ، ولا على الانفاق فى وجوه الخير التى يستطيع الانفاق فيها ، كما أنه لا يندفع الى الاتفاق فى إسراف يأتى على ماله كله ، ولو كان على نفسه أو أولاده أو وجوه الخير . . . فالاعتدال والتوسط شيمة المؤمن وطابع تصرفاته كلها فى المال وفى غيره ﴿ وكلوا

واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ﴾ الأعراف . ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك (كناية عن الشح والبخل) ولا تبسطها كل البسط (كناية عن الاسراف) فتقعد ملوما محسورا الاسراء ٢٩ والمسلم قارىء القرآن أو سامعه يعلم أن الله نهى عن التبذير وهو بصدد الأمر بالانفاق على المحتاجين فى قوله تعالى ﴿ **وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، ان المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا** ﴾ ٢٦ ، ٢٧ من الاسراء .

فلا يقل إننى أنفق فى وجوه الخير ، ويحرم نفسه وأولاده ، بل يتحرى الاعتدال فانك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس كما يقول الرسول ﷺ . والله يشير الى هذا حين يقول ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ ويقول ﴿ **وآتوهم من مال الله الذى آتاكم** ﴾ ويقول : ﴿ **وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** ﴾ ولم يقل انفقوه أو آتوهم المال .

ويسمع المسلم من ناحية اخرى كراهة الله للشح والبخل صراحة ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ الحشر / ٩ ﴿ **ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء** ﴾ محمد / ٢٨ ويتعلم من هذا كله الاعتدال والتوسط فى حياته وفى تصرفاته وقد وجدنا العلماء انطلاقا من هذا المبدأ يقررون كراهة الاسراف فى الوضوء حتى ولو من البحر الكبير اغترف خوفا من أن تتربى فى المسلم عادة الاسراف فى اموره كلها فيخل ذلك بتوازنه .

٧) والمسلم قوى الايمان بربه يعلم ان بيده ملكوت السموات والارض وان مخلوقاته كلها محتاجه اليه ، فلا يتوجه الى محتاج يطلب منه حاجة ، ولا الى ضعيف مثله يستعين به ويترك ربه ، بل حتى اذا استعان بإنسان مثله يظل مرتبط القلب بربه ، وهو فى صلة بربه ، وخوفه منه لا يعتدى على أحد ، بل ولا يعتدى على حيوان وزرع ،

ولا يجروء على أن يهدم بناء النفس الذى أقامه الله ، فيقتل إنسانا معصوم الدم مسلما كان أو ذميا معاهدا ﴿ **ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق** ﴾ .

٨) ولا يتعدى على عرض أحد ، بنظرة خبيثه ، أو مغازلة أو ما هو أفحش من ذلك كالزنا بل يحرص على أن يكون أمينا على أعراض الناس كما يحب أن يكون الناس امناء على عرضه فكما تدين تدان .

٩) ولا يدفعه حمق او غرض الى شهادة زور يهدر فيها حقا من الحقوق ، بل يتحرى الحق والعدل فى كل ما يقول ويفعل ، حتى ولو كان فى ذلك ضرر عليه ، فان الله هو الحق ، وهو سبحانه غيور على الحق يغضب أشد الغضب ، إذا نال من أحد ، أو اخل بميزانه فى علم او قول ﴿ **وكونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين** ﴾ النساء / ١٣٥ .

كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم (يحملنكم) شنآن قوم (بغضهم) على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى المائدة / ٨

فمن وظيفة المسلم فى الحياة أن يكون حارسا للعدل وحاميا للحق ، ولا يليق أن يكون حاميها حراميها كما يقال ، فلا بد أن يكون حريصاً على تحرى الحق دائما ، لا يميل عنه لقرابة أو صداقة او عداوة . وقد كان التزام المسلمين بالعدل من أبرز صفاتهم ، ومن أكثرها تأثيرا حسنا على نفوس الامم وجذبها لهداية الاسلام .

ومن اجل هذا حمل القرآن على شاهدى الزور ، المجافين للحق ، المهدرين للعدل ، كما حمل عليهم رسول الله ﷺ وأندرهم باشد العذاب حين وضع شهادة الزور بجانب الإشراك بالله - وهو يذكر أعظم الذنوب وأفحشها عند الله . حين قال رسول الله ﷺ لاصحابه الا أنبئكم باكبر الكبائر ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال :

الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقول الزور وشهادة الزور .
فلن يفلح قوم ضاع الحق بينهم ، ولن يقوم ملك اختلت فيه قواعد العدل ، ومن أجل هذا جعل الله طابع المسلمين تحريهم للعدل ، واقامتهم له ، وتنقية نفوسهم ومجتمعهم من كل ظلم ، حتى تستقم بهم ولهم شئون الحياة .

ولقد كان من غيرة الله على الحق أن انزل قرآنا يحمى به يهوديا من العقاب ، حين تآمر مسلمون متعصبون لقبيلتهم على أن يلصقوا به التهمة زورا ، وكاد الرسول يحكم عليه ، بما ظهر أمامه من ادلة ، ولم يكن هناك مفر أمام هذا إلا أن يعاقب اليهودى بغير جرم ارتكبه ، فأنزل الله لانصافه وحمايته من الزور المتآمر عليه آيات من سورة النساء من ١٠٥ - ١١٣ كان أولها :
﴿ إنا إنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكون للخائنين خصيما . . . ﴾ الآيات .
وسجل الله بهذا وبغيره غيرته على الحق ايا كان موضعه ، والمسلم حين يعلم هذا يكون أشد حرصا على الحق وغيرة عليه . . . تخلقا باخلاق الله وتقربا اليه ، واقتداء برسول الله ﷺ ، لا يبعده عن الحق - كما قلنا - قرابة أو صداقة أو عداوة ، أو اختلاف دين .
لان - التمسك بالحق والبعد عن الزور والباطل من شيم المسلم ، ومن خلائقه ، مهما يكن الذى يتعامل معه ، فإن رسول الله ﷺ حذر المسلمين من الانحراف الى ظلم من يخالفنا فى الدين فقال :
من ظلم معاهدا أو ذميا (وهو من أعطيناه عهدا وأمانا من المخالفين لنا فى الدين أو كان مواطنا لنا فأنا خصيمه يوم القيامة ومن كنت خصيمه خصمته يعنى غلبته .
وهذه حقيقة مخيفة ، فمن الذى يقوى على الوقوف فى وجه رسول الله ﷺ يوم القيامة ؟ ومن ذا الدى تحدثه نفسه بعد ذلك بالاعتداء على أحد ، ولو لم يكن على ديننا ويعرض نفسه لتلك الخصومة ،

خصومة الرسول يوم القيامة ؟ . وهو فى أشد الحاجة الى قشة تسنده ؟ فما بالك بحاجته الى شفاعة رسول الله ﷺ

ان الاسلام بهذا يجعل من المسلم انسانا معتدلا لا حريصا على الحق فى كل ما يقول ويفعل ، ولو مالت الدنيا كلها حوله الى الباطل . . . فان ذلك طابعه ومقتضى وجوده .

١٠) والمسلم فى حرصه على طاعة ربه والتزام أمره ، لا يشده ذلك عن التمتع بدنياه وإقامة الأسرة التى توفر له الطمأنينه ، وتدخل على قلبه السرور والانشـراح حتى يستريح نفسيا ، ويقبل على عمله ويتفرغ له . . . ولذلك فهو يدعو الله أن يهيء له ذلك . . . ؟ ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين كناية عن سكن النفس وطمأنينتها ، ونعبر نحن عن الانسان الهانىء المطمئن فى حياته بانه قرير العين أى ثابت ملامح العين مستقرها.
لأن الخائف او القلق تترجم عيونه بحركتها عن خوفه وقلقه . . . والعيون هى أصفى مرآة لما يدور فى نفس الانسان ، من خوف أو قلق ، أو من هدوء وطمأنينة أو من حبه وشوق ، حتى ليقول شاعرنا وهو يتحدث عن المحبين : « والصبُّ تفضحـهُ عيـونه » .
فاستقرار عيون الانسان وهدوء حركتها دليل على هدوء نفسه وطمأنينتها ، والمسلم يسأل الله أن يجعل له من زوجته ما جعله الله غاية للزوج ﴿ لتسكنوا اليها ﴾ والسكن هو الطمأنينة والركون إليها . والثقه بها ، والإعجاب أو الرضى بتصرفاتها (فالدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة التى إذا نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك ، وإن غبت عنها حفظتك فى مالك وعرضك وتلك هى اللبنة الأساسية فى قيام الأسرة الهانئة المطمئنة ويزينها ويزيد من سعادتها بعد ذلك الذرية الصالحة الطيبة وهى من أعظم نعم الله وأجلها على الأب والام .

نعم الإله على العباد كثيرة * واجّلهن نجابة الاولاد

والنجابة والفطانة والامتياز ، كما تكون فى العلم تكون او لابد أن تكون أولا فى الخلق ، فيعيش المسلم فى عيشه هانىء البال ، قرير العين بين زوجة صالحة وأولاد نجباء صالحين

يرجو ذلك ويعمل له ، ليطمئن بيتاً ، ويجيد عمله خارجياً ، وعلى مثل هذه الاسرة يقوم بناء المجتمع القوى السعيد الذى يريده الاسلام

وهكذا فان المسلم الذى يعده الرحمن من عباده ، هو الذى لا ينسى حظه من نعيم الحياة وهدوئها ﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ .

وهو بذلك يعمل لدينه ولأمته . . . فالمجتمع كالجسم يتكون من خلايا عديدة وخلاياه هى الاسرة ، وبمقدار قوة الاسرة وصلاحها تكون قوة المجتمع وبمقدار قوة المجتمع وصلاحه تكون سعادته فى دنياه وفى آخرته . . ومن هنا يدرك المسلم قيمة الأسرة ، ويسأل الله أن يهيها له صالحة قوية تؤدى واجبها وتساعده على أن يؤدى واجبه كذلك لربه ، وينفع مجتمعه ، فهو حين يسأل الله السعادة والاستقرار فى بيته ، إنما يهدف مع طمأنينته الى خدمة مجتمعه وإرضاء ربه .

١١) ولذلك نجده يردف بهذه ، الدعوة التى نخالها أمرا خاصا بالدنيا وما هى كلها كذلك - يردفها بهذه الدعوة الجامعة لكل ما يريده المسلم فى دنياه وآخرته ﴿ واجعلنا للمتقين إماما ﴾ فيتطلع إلى الاجادة فى العمل المخلص ، والى القمة فيه ، ولا يكتفى بأن يقف فى الصف مع الاخرين ، بل يرجو ان يصل الى الذروة ، وان يكون قدوة وإماما لغيره فى طاعة ربه ﴿ وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ .

تلك بعض الملامح لشخصية المسلم يذكرها الله هنا تحت ما

يمكن أن نسميه عباد الرحمن آخذا من افتتاح الآية الاولى من الايات التى ابرزت هذه الملامح ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا . . ﴾ وتأتى آيات اخرى غير هذه فتؤكد على هذه الملامح أو تضيف اليها جديدا مما يتجلى به شخصية المسلم فيفتتح الله سورة (المؤمنون) بهذه الملامح من خلال هذا الاسلوب ﴿ قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على ازواجهم أو ما ملكت إيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون (المعتدون) والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون ، اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾

ونتنقل بين آيات القرآن فنجد آيات من سورة الشورى تذكر لنا ملامح للمؤمن ﴿ وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ، ومما رزقناهم ينفقون ، والذين إذا اصابهم البغى هم ينتصرون ﴾ وتأتى الآية بعد ذلك تؤكد هذه الصفة الأخيرة لتقول ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ فذلك هو الحق والعدل ، ولكنها تذكر بعد ذلك ما هو الافضل للمؤمن ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ﴾ فلا يدرى المسلم حين يقتص هل يضبط نفسه وهو فى ساعة الغضب ، فربما يجور ويظلم ، ويزيد عن حقه والله لا يحب الظالمين .

ولذلك فان الأسلم والأفضل له أن يلجأ إلى العفو ويترك أمره الى الله يقتص بعدله من ظالمه ، وليس ذلك أمرا واجبا عليه ، وانما هو فضل منه فمن اقتص لنفسه فلا تثريب عليه ، فإنما هو حقه

أخذه ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق اولئك هم عذاب اليم ﴾ الشورى ٣٦ - ٤٢

ونجد من هذه الملامح ما يستحق الوقوف عنده والحديث فيه . . . لانه شيء جديد يضاف الى ملامح المسلم السابقة ويشترك فى تكوين شخصيته فالمسلم انسان واسع العقل ومتفتح القلب ، متعاون مع من حوله بالرأى والعمل بطبيعة فكانت الشورى من لوازمه .

١٢) يذكر الله هذا كأنه حقيقة من حقائق حياة المسلم وصفة ملتصقة بشخصيته كالصلاة والزكاة لا يصح أن يتخلى عنها . . . ومن هنا كانت قوة مبدأ الشورى ، حيث ذكرها هنا مع الصلاة والزكاة بجانب الأمر بها فى آية آل عمران : ١٥٩ ﴿ وشاورهم فى الامر ﴾

ويقوى الأمر بها فى هذه الآية الأخيرة إنه أمر جاء عقب ازمة تعرضت لها الشورى بسبب الهزيمة التى حلت بهم فى غزوة أحد وكانت الشورى فى ظاهر الامر لدى الصحابة من اسبابها ، حتى اخذ المسلمون يتلاومون ويقولون ، ليتنا لم نشر على الرسول ﷺ بالخروج إلى هذا الموقع ، وظللنا بالمدينة كما كان يريد ، لن نعود لابداء رأى يخالف رأى الرسول .

كما يعطى مبدأ الشورى قوة هنا أيضا انه أمر صادر من الله لرسوله المؤيد بالوحى ، والمحروس بعناية الله . . . فحتى الرسول - وهذا شأنه - ليس معفيا من تطبيق مبدأ الشورى مع أصحابه ، فى غير ما نزل به الوحى طبعا . مع أمره بالتجاوز عما يترتب على الشورى أحيانا من آثار ، لأنه المبدأ الصالح .

ولا يغض من جلاله أو يعفينا من الالتزام به أن نحيط به ملابسات نكرهها ، لأن الشورى من سمات المسلم ، ومكونات

شخصيته ، على كل المستويات فلا يضيق برأى غيره ولو خالفه بل يطلبه ويشجع عليه ، فإن الرأى مع الرأى نور على نور ، ولا بد أن يشارك المسلمون بالرأى فى الأمور التى تخصهم ، وتحتاج الى الرأى واعمال الفكر واختيار الأمر المناسب المحقق لمصالحهم ، بفعل ذلك حاكمهم على مختلف مستوياته ، ويفعل ذلك رب البيت ، وتفعل ذلك الجماعة التى تتصدى لعمل فى المجتمع بل يفعل ذلك كل فرد مسلم فى كل أمر يهمه ويحتاج إلى بحث فيستشير من يراه أهلا للاستشارة ، وابداء الرأى . . . ويستنير برأيه فلا خاب من استشار ويعبر شاعرنا العربى عن هذا حين يقول :

اذا كنت فى حاجة مرسلا * فأرسل لبيبا ولا توصه
وإن باب أمر عليك التوى * فشاور حكيما ولا تعصه

وحين يستشير الحاكم أو الرئيس ، وتؤدى التسورى إلى رأى ، كان هذا الرأى ملزما ، اما كيف تحكم الشورى ؟ فقد فتح الله لشخصية المسلم المجال لإبراز هذه الشخصية حين يقرر له المدأ ويترك له الحرية فى تطبيقه على الصورة التى تناسبه وتناسب من حوله . وتطبق المبدأ أحسن تطبيق ، وتستخرج حسناته ومزاياه ، لم يقيدهم بصورة خاصة من الشورى ، يدورون فى فلكها ، وربما تضيق بهم أو يضيقون بها فليست المجتمعات كلها صورة وطبعة واحدة ، لا فى الزمان ، ولا فى المكان . . . . فليختر المسلم أيا كان موقعه - الصورة التى تناسبه لتحقيق الشورى ولتبرز شخصيته انسانا شوريا لا يضيق برأى غيره بل يطلبه ويستعين به ، ولتبرز شخصيته كذلك فى اختيار الطريقة التى يحقق بها مبدأ الشورى أو يحقق بها مصلحته عن طريق الشورى .

١٣) ومع الشورى لتمحيص الرأى واختيار المناسب ، يجب أن يكون الحسم بعد ذلك فى تنفيذ الرأى الذى يصلون اليه . . . وهذا

نستشفه مما ذكره الله بعد الأمر بالشورى مباشرة ﴿ وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله أن الله يحب المتوكلين ﴾ فالمسلمون إذا استقر رأيهم على أمر ، يجب ان يتجهوا بكل عزمهم الى تنفيذه واتخاذ كل الاسباب التى تحققه لكن مع التوكل على الله ، والتوكل حالة نفسية أو روحية تصاحب العمل الذى توفرت أسبابه ، وتتمثل فى الركون الى الله ورجاء العون منه ، والبعد عن الغرور والاعتماد الكلى على ما توفر له من الأسباب .

فمجرد الركون الى الله بدون عمل وتوفير للأسباب ، بعيد عن التوكل الذى يريده الاسلام .

وكذلك توفير الأسباب والاعتماد الكلى على مجرد توفرها ، دون الالتجاء الى الله والاستعانة به ، ورجاء التوفيق منه . . . بعيد عن التوكل ، فكثيرا ما تتوفر الأسباب ثم يكون عدم التوفيق فى ناحية فلا تحقق الأسباب شيئا .

ومن هنا كان من الضرورى للمسلم أن يقبل على العمل الموصل عادة للغاية ، ويعد له عدته ، وهو مرتبط نفسيا وقلبيا بالله ، متكل على عونه وتوفيقه ، لانه أفرغ جهده فيما يملك ويستطيع ، والباقى بعد ذلك على الله ، فيرجوه ويركن الى عونه ، وهو سليم الصلة به ، حتى يمكن أن يعينه ، فليس من الذوق ولا من المعقول أن تطلب العون ممن تعصيه أو تغضبه وتهمل حقه عليك ، ولا من المنتظر أن يعينك غاضب عليك ، عالم بعدم إخلاصك له ، فلذلك كان من الضرورى للمسلم أن يحسن صلته بالله فى كل عمل يعمله ، حتى اذا لجأ اليه يطلب منه ويرجوه أن يعينه ويساعده ، يكون قد قدم ما يشجعه على هذا الموقف ويحققه له . ولذلك نجد بعد الأمر بالتوكل وإعلانا من الله بأنه يحب المتوكلين . . . ذلك لأن المسلم حين يتوكل على ربه ويعتمد عليه ، لابد ان يكون قد أعد عدته العملية أولا وأحسن

صلته بالله مقدما ، وأخلص له نواياه ، حتى يرشحه ذلك لان يسند الله ظهره ويعينه على إنجاح سعيه ، فالمتوكل على الله هو الانسان المخلص له فى حمله الحريص على رضائه ، القوى الصلة به ، حتى يمكن أن يحبه ويرضى عنه ويساعده ﴿ ان الله يحب المتوكلين ﴾ .

فالذى يستبد برأيه يغضب ربه ويتعس نفسه ، وإذا كان الرأى متعلقا بغيره أتعس كذلك غيره ، ولذلك كانت الشورى والالتزام بها من أهم مبادىء الاسلام ، وقد وجهنا الرسول ﷺ يستشير ويلتزم بالرأى الغالب كما حصل فى الخروج لغزوة أحد ، وقد تنازل عن رأيه أمام رأى الأغلبية ،فى هذا وفى غيره من المواقف . . . ولنا فيه قدوة حسنة .

والذى لا يعمل مرتكنا فى ذلك على أن الله يعينه انسان خائب وخاسر قصير النظر لن يصل أبدا لما يُريد .

والذى يعمل مغترا بحوله وقوته هو سيىء الصلة بربه ، يتركه ربه لحوله وقوته ولا يحظى بسند من ربه .

إذا لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجنى عليه اجتهاده

وان خسر المستشير المتوكل على الله جولته ، خفف عنه وقع خسارته أنه بذل جهده وأرضى ربه ، فلا يهلكه الندم .

ولذلك كله أمر الله المسلم ورباه على أن يلتزم بمبدأ الشورى فى حياته ، ويتفاعل رأيه مع آراء غيره ، ويعمل بكل ما فى طاقته لتوفير الأسباب ، ويتجه فى حزم لتنفيذ ما استقر عليه الرأى ، وهو قوى الصلة بربه دائم الرجاء منه أن يمده بقوته وتوفيقه ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ امره ﴾ الطلاق ٣ .

١) ومن ملامح شخصية المسلم التى أبرزتها آيات الشورى هنا أنه مع حسن خلقه ، ومع تسامحه ، لا يقبل ضيما ، ولا يتهاون مع الباغين الذين ينالون منه ، ويستهترون بعقديته ويجرحون عزته

﴿ والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ﴾ والمسلمون جميعا لابد أن يستعدوا دائما لهذا ، ولابد أن يعرف البغاة الظالمون ، والسفهاء المغرورون أن المسلم لحمه مرّ كما يقال ، وأن أى اعتداء عليه سيلقى الرد العنيف منه ومن اخوانه المسلمين معه ، فالمسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم كما يوجهنا رسول الله ﷺ . وحتى لو كان الاعتداء عليه من مسلم ، فان اخوانه لن يتركوه ، بل يقفوا بجانبه ضد المعتدى الباغى . . . ويقتصّوا منه إلا أن يروا فى العفو خيرا ، لكن بعد أن يعرف المعتدى مصير عدوانه ، فلا يعود مرة أخرى ، أو تحدثه نفسه للاعتداء عليهم . .

والله بتقريره هذه الصفة للمسلم ، ووضعها بجانب بعض أركان الاسلام كالصلاة والزكاة يضع المسلمين جميعا وضعهم الطبيعى فى مثل هذه الحالة جبهة واحدة ضد من يبغى عليهم ، لا يتخلف منهم أحد .

فالمسلمون إخوة وهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، أو اذا اشتكى بعضه اشتكى كله ، وهم لا يعتدون ، ولكنهم ينتصرون لأنفسهم ويثأرون لكرامتهم . . . ويقتصون ممن ظلمهم ، لأن المسلمين مسالمون بطبعهم ، كما يعلمهم دينهم ، لكن إذا اعتدى أحد عليهم أو على دينهم أو عرضهم أو أرضهم ، فإنهم يتحولون إلى أسود كاسرة تدافع عن عرينها . . وهذه قاعدة عامة فى حياة المسلم أو صفة ملازمة له ، أو واجب عليه يؤديه كما يؤدى الصلاة والزكاة . . . .

١٥) ويتصل بهذا ما رسمه الله للمسلم فى سلوكه مع المخالفين له فى الدين . .

أ – فهو لا يكره أحدا على اعتناق دينه فالله يقول : ﴿ لا اكراه فى

الدين ﴾ ولكن من الضرورى أن يبين المسلم للناس ملامح دينه وفضائله بقوله وعمله ، وبالحكمة والموعظة الحسنة ، وهذا نلمحه هنا من قوله بعد ذلك ﴿ قد تبين الرشد من الغى ﴾ فالمسلم الغيور عليه أن يبين للناس دينه لا أن يكرهم عليه . .

ب - وهو لا يبدأ باعتداء ، فان الله لا يحب المعتدين ، ولكن عليه أن يرد الاعتداء بمثله . .
وأن يحرص على المسالمة مع الذين يسالمونه ، ولا يتآمرون ضده أو يعاونون أعداءه عليه ﴿ فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ﴾ النساء ٩٠ .

وليس ذلك فحسب ، بل يحسنون إلى هؤلاء المسالمين ، ويبرونهم ويساعدونهم عند حاجتهم ﴿ لا ينهاكم الله عَن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾ الممتحنة ٨ ، ٩ . فسلوك المسلم من هذه الناحية هو السلوك الطبيعى الذى تقره العقول والقوانين الدولية . . أرشده إليه القرآن وعلمه اياه من أربعة عشر قرنا ، والمجتمع فى ذلك الوقت تسوده قوانين الغابة حيث كانت القوة هى التى تسود وتحكم بلا أخلاق ولا عدالة .

فالمسلم لا يدخل الدين طرفا فى معاملاته مع الناس إلا بخير ، ولا يجعل اختلافه فى الدين معهم سببا فى الاساءة إليهم ، أو الاعتداء عليهم وظلمهم ، بل يترك لهم أمر عقيدتهم كما يشاءون ،لا يكرههم على تغييرها ، ولا يعاديهم أو يظلمهم من اجلها . . ويبنى علاقته معهم على ما يبدو منهم نحوه من سلم أو اعتداء فإذا سالموه سالمهم ، وإن

اعتدوا عليه أو على دينه وتحرشوا به رد اعتداءهم بمثله ، حتى يقهرهم ويستسلموا له ، ويكفوا عن ايذائه وهذا - كما قلت حق له عادى وطبيعى ، لا ينكره عليه إلا معتوه أو ظالم . . .

ولهذا يتحاشى المسلم أن يظلم مسيحيا أو يهوديا أو أى إنسان لمجرد أنه على غير دينه ، بل يحرص الحرص كله على أن يعدل معه ، ويعطيه حقه كاملا ، ولو من خصمه المسلم ، وقد سبق أن ذكرت الآيات التى نزلت لتنصف اليهودى وتبرئه ، بعدما تجمع على إدانته الشهود المتعصبون ضده ، حتى كاد الرسول ﷺ يحكم عليه ، فنزلت الآيات لتحول دون الحكم عليه وتبرئه ، وتدل على الجانى - وهو مسلم - وتوبخه وتوبخ من تعصبوا له . .

وتقول للرسول : ﴿ **ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك ، وما يضلون إلا أنفسهم ، وما يضرونك من شيء** ﴾ لانك إن حكمت على اليهودى ، فإنك تكون قد حكمت بمقتضى الادلة الظاهرة امامك ، مثل أى قاض يحكم بين الناس اعتمادا على الأدلة الظاهرة أمامه ، ولا يعلم ما خفى وراءها ، والرسول - كما يقول ﷺ يحكم بالظاهر والله يتولى السرائر .

وهذا الموقف علّم المؤمنين كيف يعاملون الناس ممن ليسوا على دينهم ، وكيف يسوونهم بالمسلمين ، ويوفرون لهم حقوقهم كاملة ، ولا سيما وأمامهم قول رسول الله ﷺ وتحذيره من ظلم معاهدا أو ذميا فأنا خصيمه يوم القيامه ومن كنت خصيمه خصمته .

وقد تحاكم على بن أبى طالب ويهودى متهم بسرقة درع علي إلى الخليفه ، فحكم الخليفة لليهودى ، فأخذ الدرع ومضى ، وظهر على وجه علي الغضب ، فسأله الخليفة : هل أنت غاضب لأننى حكمت لليهودى فقال : لا ، ولكن لأنك لم تسو بينى وبينه فى مجلس القضاء ، فناديتنى بكنيتى (يا ابا الحسن) وناديته باسمه ، وفى النداء بالكنية

تكريم لى ، وغادر المجلس ، فوجد اليهودى ينتظره ، وقد أثرت فيه عدالة المسلمين فآثر أن يلتزم هو كذلك بالحق . . فقال للامام علي : الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين ، وقد أخذتها بطريق كذا وكذا . . . وما وجدت عدالة كهذه . . . وأقبل على الاسلام . وكانت الدرع فعلا لعلي ، ولكنه لم يستطع اقامة البينة على أنها له . .

ووجد عمر بن الخطاب رجلا يدور على الناس ويسألهم فتعرض له - وكان يكره مثل هذا السلوك ويحب أن يقبل الناس على العمل والكسب تنفيذا لتوجيهات الرسول ﷺ - فقال له الرجل : لقد كبرت سنى ، وأنا أسال الناس المئونة والجزية - وكان يهوديا - فأسرع الخليفة يطمئنه ويقول له : ما أنصفناك إن أكلنا شبيبتك ثم نتركك عند الهرم ، وأمر المسئول عن بيت المال أن يلغى عنه الجزية ، ويصرف له معونة عاجلة ، ثم قال له : انظر هذا وضرباءه فحط عنهم جزيتهم ، واجعل معيشتهم على بيت مال المسلمين . . وفعل مثل ذلك مع راهب نصرانى لا يستطيع الكسب . . .

لم يفرق عمر فى هذا بين مسلم وبين يهودى أو نصرانى ، تنفيذا لتعاليم الاسلام الذى يحفظ للذميين والمعاندين حقوقهم كالمسلمين تماما : فان لهم ما لنا وعليهم ما علينا من الحقوق والواجبات العامة فى الدولة ، وتحقيقا للتسوية بينهم وبين المسلمين فى تحمل مسئولية الدفاع والامن ، قرر على الذكور من اهل الكتاب - البالغين منهم والقادرين - أن يدفعوا نصيبا من المال مقابل وجزاء ما يدفعه المسلمون من زكاة ، وما يقومون به من جهاد ، لتأمين الدولة داخليا وخارجيا . . . مما سمي بالجزية مشاركة من أهل الكتاب فى هذا التأمين ، اذ ليس لنا ان نجبرهم - دينا - على دفع زكاة ، ولا على المشاركة بانفسهم فى الحرب ، فيدفعون عوضا عن هذا جزءاً من المال ، وهم الكاسبون . . ! ولو تقدموا بأى نوع من المشاركة فى الدفاع ، ولو بمراقبة

العدو ونقل أخباره ، ألغيت الجزية عنهم ، أو بلغتنا الحديثه الغيت عنهم ضريبة الدفاع المالية . . .

وهكذا يجد المسلم نفسه ملتزما بمبدأ العدالة فى التعامل مع المخالفين له دينا فلا هو يكرههم على الدخول فى دينه ، ولا هو ينقصهم حقا من حقوقهم ، ولا يبتدىء حربا ضدهم ما داموا مسالمين ، ويبدو المسلم بهذا وسط غابة الحياة صورة مشرقة بالعدل والاتزان والمسالمة مع الاعتزاز بالكرامة ، لأن الله هو الذى يصنعه ويربيه . . . .

• • •

جوانب
شخصية المسلم

المسلم إنسان إيجابي

والمسلم - بحكم دينه - ليس مسئولا عن نفسه فحسب ، بل هو مسئول كذلك عن المجتمع الذى يعيش فيه . . . مسئولية تعاونية فى كل ما يهم مجتمعه ، ويحتاج اليه الافراد منه والجماعات - فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

وإذا كان من المفروض عليه أن يهتم بأمور المسلمين ماديا ، ويعين المحتاجين منهم ، فإن من المفروض عليه كذلك أن يعينهم على القيام بتعاليم دينهم وتسديد خطاهم على طريقه . . فيعّلم الجاهل ، ويرشد الضال ، ويقوّم العاصى المنحرف بما يستطيع تقويمه به . . . وهذا من أهم واجبات المسلم نحو مجتمعه الذى يعيش فيه . . . فلا يكفيه أن يقوم هو بالواجب عليه . ويتحرى الاستقامةَ مع الله ومع الناس فى تصرفاته ، بل لا بد له أن يتفاعل مع المجتمع ويحاول بقدر إمكانه تصحيح خطاه ، وتقويم المعوج به ، حماية لمجتمعه من أن ينتشر فيه الفساد والانحراف ، بل حماية لنفسه كذلك من الشرر الذى يصيبه من عبث الاخرين لو تركهم وعبثهم . . . بل وحماية للعابثين أنفسهم من عواقب عبثهم عليهم . . .

ولهذا وجدنا الرسول ﷺ يقول : انصر اخاك ظالما أو مظلوما قالوا هذا شأن المظلوم . . . أى عرفناه ، فما بال الظالم ننصره ؟ قال : نصره منعه من ظلمه لغيره . ننصره على نفسه الشريرة ، ونحميه من تصرفاته السيئة .

فالمسلم - اذن - لابد أن يقف مع مجتمعه موقفا ايجابيا ، يعين

أصحاب الأعمال الطيبة على أعمالهم ، ويقف معهم يساندهم ، كما يقف فى وجه الشريرين المنحرفين ، ليكفوا عن انحرافهم ويحمى المجتمع من شرورهم ، على حسب استطاعته . ﴿ **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** ﴾ فاذا وجد الخيرون الصالحون من يعينهم ويشد أزرهم ، واذا وجد المنحرفون من يصدهم ويوقف انحرافهم ، تغلب الخير ، وانكمش الشر ، وسعدت الأمة بابنائها ، واستراح كل فرد فيها واطمأن على مصالحه ، وتفرغ لعمله يبذل فيه كل جهده ،وازدهر كل شيء حوله وهذا العمل الايجابى التعاونى سماه القرآن الكريم ﴿ **الأمر بالمعروف والنهى على المنكر** ﴾ ودعا المؤمنين إلى أن يقوموا به ويؤدوه ، لأنه طريق فلاحهم وسعادتهم فى دنياهم وأخراهم . . .

فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾ آل عمران / ١٠٤ .

والدعوة الى الخير بالحكمة والموعظة الحسنة ، وإن أتقنها وعرف طرقها رجال تحلوا بالعلم والحكمة ، إلا أن ذلك لا يعفى أى مسلم فى أى موقع من القيام بهذه الدعوة الطيبة ، فالخير ميدانه واسع ، وكل انسان يستطيع أن يبذر فيه بذرة ويلقى حبة .

فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإن كان له رجال علماء أو حكام يحذقونه إلا أن ذلك لا يعفى أى مسلم فى أى موقع حتى من كلمة طيبة يقولها ، يشجع بها خيراً أو يمنع بها شرا ، وذلك يتكيف حسب الظروف المحيطة فمن استطاع بالجهد العملى فعل ، ومن استطاع بالكلمة فعل . ومن لم يستطع هذا ولا ذاك كان عليه أن يشعر المذنب بأى اسلوب بانه يستنكر فعله ولا يرتضيه ، وذلك بالصورة المناسبة فلا يبش فى وجهه ، ولا يؤاكله ، أو يجالسه أو يعامله « مقاطعة سلبية » تشعره بذنبه .

هذا هو ما يجدر بالمسلمين أن يفعلوا ، كل فى موقعه وحسب استعداده واستطاعته . لا يليق بهم أن يتخلوا عنه ، ويعيشوا سلبيين تاركين الفساد يتراكم حتى يطمسهم ويحرقهم بناره ، أو تاركين الفيضان حتى يجرفهم .

ولقد بلغت عناية الله بهذا الامر حدا جعله يضعه سببا من أسباب أفضلية هذه الأمة على غيرها ، وإن كان عاما فى كل الأمم والرسالات ، وقدمه فى الذكر على الايمان به ، لنشعر بأهميته ، لأن الإيمان هو الأفضل والأساس . . يقول الله : ﴿ **كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . . .** ﴾ آل عمران / ١١٠ .

وقد أناط الله بامهاله هلاك الامم من قبلنا ، وصب اللعنات عليها فقال ﴿ **لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون** ﴾ المائدة ٧٨ ، ٧٩ .

حتى الذين يلوذون بالصمت تجاه الفساد الذى يرونه ولا يبدون أية حركة أو إشارة للمفسد المستهتر تعبر عن استنكارهم لسلوكه ، وتشعره بانعزاله ، حتى هؤلاء السلبيين الذين اتخذوا مبدأ ، وأنا مالى شعارا لهم ، لا ينجون من عقاب الله لهم فى الآخرة ، فوق ما يكتوون بناره من سلبيتهم فى حياتهم .

يحدثنا الله بهذا عن بنى إسرائيل وموقفهم من الفساد ، حتى نتعظ ونعتبر ، ولا نقف موقفهم وإذ قالت أمة (جماعة) منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا ؟ فلا فائدة من وعظهم فلن يفيد كلامكم شيئا ولن يؤثر فيهم . . ووقفت هذه الجماعة موقفا سلبيا تقول « ما فيش فائدة » بل لبست مسوح الحكمة والحكماء ، وأخذت فى تأنيب ولوم الذين يقومون بمهمتهم فى الأمر بالمعروف ، ولكن هؤلاء ردوا عليهم قالوا مُعذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون فكانوا مصرين على اداء

مهمتهم ، ولم ينقطع أملهم وأصروا على أن يؤدوا الواجب الذى كلفهم به الله ، طاعة له . واملا فى أن يأتى كلامهم فى النهاية بخير .

ويأتى الله بالحكم على هذا الموقف من جميع جوانبه ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به** ﴾ أى نسى المفسدون وتناسوا ما قيل لهم من وعظ وتنبيه ولم يعد فيهم أى امل ﴿ **انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس ما كانوا يفسقون** ﴾ الاعراف ١٦٤ - ١٦٥ والذين ظلموا هم الفريقان ، فعذب الله السلبيين ، كما عذب الفاسقين المفسدين ، ولم ينج الا الذين قاموا بواجبهم وأدوارهم فعلا . . .

وإذا كان الله قد ميز القائمين بواجبهم عن غيرهم من المفسدين ومن عايشهم وسكت عنهم ، فأنجى المؤمنين القائمين بالواجب ، وأنزل عقابه العاجل بالمفسدين ومن سايرهم فإنه سبحانه وتعالى قد رفع عن هذه الأمثال العقاب العاجل بمثل الصيحة والصاعقة ، وجعل مصير الامة كلها بيدها تتحمل مسئوليتها ، وتصلح أمرها بنفسها ، وتذوق نتيجة تصرفها عسلا حلواً أو مرا علقما ، ويذيق بعضها بأس بعض . .

فان حملوا على الفساد وقضوا عليه سعدوا بحياتهم ، وان تباطئوا وغلب عليهم شعار وانا مالى وتغلب المفسدون فى الامة على أهل الخير ، فان العذاب سيصيب الأمة كلها . ويقضى عليها حتى يحيل حياتها الى جحيم لا يطاق ، وإلى نار يتطاير شررها فى كل مكان فيصيب الصالح والطالح .

ولذلك يحذرنا الله من هذا الوضع ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ بل تعمّهم هم وغيرهم .

ويحذرنا الرسول ﷺ فيقول : إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك ان يعمهم الله بعقاب منه رواه ابو داود - والترمذى والنسائى بأسانيد صحيحة ، ولهذه النتيجة الخطيرة كانت عناية الله

بوظيفة الأمر بالمعروف ، فلا بد أن تعرف الأمة المسلمة – مسئوليتها – ويعرف كل فرد فيها أنه لا يكفيه ولا ينجيه أن يصلح نفسه ، بل عليه أن يعمل على اصلاح غيره ، ليؤدى واجبه كاملا ، وينجو مما قد ينزل بالأمة كلها ، وهو واحد منها ، لو عاش كل فرد فيها بفكره السلبى الانطوائى .

ان المسلمين كالجسد الواحد – كما قال رسول الله ﷺ – ومعنى هذا أن تتأثر أعضاؤه بما يصيب أى عضو فيه ، ولابد من علاج هذا العضو حتى تستريح الاعضاء كلها وتسلم من الآلام ، وكما يقول رسول الله ﷺ اذا اشتكى بعضه اشتكى كله ، واذا اشتكى عضو فيه تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ولا تهدأ حتى يبرأ العضو المصاب .

والمنحرف عن طريق الاسلام مريض ، لابد أن يعمل كل من يعرفه على علاجه ، ووقاية المجتمع من مرضه ، فما عاش من عاش لنفسه فقط .

بهذه التعاليم القرآنية والنبوية يربى الاسلام أتباعه ، ويخلق فيهم الشخصية الاجتماعية الايجابية ذات الشعور بالمسئولية الجماعية عن كل من يعيش معهم ، ويرتبط مصيره بمصيرهم ، بل وعن كل ما يحيط به ويستغله من حيوان ونبات ، وشارع وبيت ، وحقل ومصنع ، عن كل شيء ، يتصل بحياته ومصيره . . فخير الناس أنفعهم للناس ، ومن لا يرحم لا يُرحم .

المسلم
مؤمن بقضاء الله غير ساخط عليه

والمسلم انسان يؤمن بالله القوى القادر الذى بيده مقاليد السموات والارض واليه المصير ، فلن يقع فى ملكه إلا ما يقدره ويريده ، ويؤمن بأنه لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وأن أهل الارض جميعا لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه الا بشيء قد كتبه الله له ، وانهم لو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه الا بشيء ، قد كتبه الله عليه .

فمصيره محدود ومعلوم عند الله وحده لأنه سبحانه وتعالى بعلمه المحيط يعلم كل شيء .. ولكن الانسان لا يعلم شيئا عن مستقبله ، ولا عمّا كتبه الله له أو عليه ، وقد خلقه الله وسواه ، وجعل له عقلا وإحساسا يميز بهما الضار من النافع .. وجعل فيه تطلعا إلى سعادته وفوزه ، وقال له اعمل ، واجر فى ميدان السباق ، وحدد له المسار ، وجعل عنده أملا فى الفوز ، ولكنه لا يدرى ما سيكون .... فيجرى ويجتهد ليحقق أمله ، ولكنه لن يخرج عن دائرة المقدّر له ، فوزا أو إخفاقا .. وكان حجب المكتوب عن عامه هو سر انطلاقه للعمل والاجتهاد ... وحين يقف فى نهاية الشوط أخيرا ، ويعرف ما قدره الله ، يتحرك فيه ايمانه ، ويجابه النتيجة سلبا أو إيجابا ويتشرب جرعة الرضا بالمقدور الحتمى ، فلا يقف عنده طويلا ... ويستأنف العمل دون ألم أو شعور بالندم يهز كيانه ، ويضعضع قوته حين الفشل ، أو دون زهو وفرح يسرب الى نفسه شيئا من الغرور حين النجاح فما شاء الله فعل ، وما اصابك بك يكن ليخطئك وما أخطاك لم يكن ليصيبك ، كل من عند الله .

والله سبحانه وتعالى يعّلم المؤمنين هذه الحقيقة فى كثير من آياته الكريمة واقرأ معى ﴿ ما أصاب من مصيبه فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير ﴾ ٢٢ / الحديد .

وما فائدة أن يعلم المسلمون هذه الحقيقة ؟ إن الفائدة هى انطلاقهم فى العمل وسباق الحياة لتحقيق الأمل ، وبعد وقوع المقدور أيضا ، دون الوقوف عنده بالنشـوة التى قد تجلب الغرور ، وتدعو الى الفتور ، أو بالندم والحزن الذى يضعضع القوى ويزيد الهم والغم ويكتمه ويكظمه فى قلب الانسان .

واقرأ معى ما جاء بعد ذلك مباشرة فى مقام الحكمة والتعليل ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ والفرح شيء طبيعى ، لا يمكن النهى عنه ، فالنهى الوارد هنا منصب على الفرحة الممتزجة بالفخر والخيلاء ، وقد تذهب القوة بالفعل ، ولذلك جاء بعدها مباشرة ﴿ والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ الحديد / ٢٣ .

فلماذا الاسى الذى يأتى بالمرض ، ولماذا الفرح الطاغى الذى يجرنا الى ما لا يحبه الله من التفاخر والخيلاء ، وكل قدر قدّره الله فى علمه ، وما تم ليس سوى إخراج لما قدّره الله . فلنمض فى الطريق ولنتابع السير مع ركب الحياة الذى لا يتوقف . . .

ان ايمان المسلم بالقضاء والقدر مع جهله التام به تفصيلا ، هو سر انطلاقه واندفاعه للعمل والمخاطرة فيه ، فلن يقع إلا ما قدّره الله وان كان الامل معقودا على أن يكون قدرا ساراً ولكن فليكن ما يكون ﴿ قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم ﴾ آل عمران ١٥٤ .

يقول هذا للجبناء الذين يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قلنا ههنا ويكاد الندم يقتلهم .

ويقول لأمثالهم من الجبناء المعوقين ﴿ **الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين** ﴾ آل عمران ١٦٨ .

ويقول ايضا عن امثالهم الذين فروا من جبهة القتال خوفا من الموت ﴿ **ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مفعولا ، قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذن تمتعون الا قليلا قل من ذا الله يعصمكم من الله إن اراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ونصيرا** ﴾ الاحزاب ١٥ - ١٧ .

فاذا كان الموت امرا لابد منه ولا محيد عنه ، فليكن فى مقام الشرف أولى . . . . فالجبان المحروم هو الذى يفر من الشرف إلى العار والحرمان .

واذا لم يكن من الموت بدن فمن العار أن تموت جبانا .

وبهذا يعالج الله النفس البشرية الحريصة على الحياة ، النزاعة للحزن وللنشـوة ، ليحد من حزنها ونشـوتها وحرصها على الحياة ، حفاظا على الحياة ، حفاظا على توازنها لتعمل وتعمل ما شاء الله لها ان تعمل ، وما استطاعت أن تعمله ، تاركة النتائج لمن بيده النتائج ، مفوضة الامر لمن بيده الامر . . . وهو لا يضيع أجر العاملين المحسنين . . .

وبهذا يربى الاسلام المسلم ، ويكون شخصيته إنسانا مؤمنا بربه وقضائه وقدره ، مندفعا للعمل والانتاج فى كل أبعاد ومجالات الحياة مستقبلا بالرضى كل ما يأتى به الله . . .
انسانا مبتسما للحياة

المسلم إنسان صادق

والمسلم إنسان صادق فى قوله وعمله . يعرف من دينه أن الصدق هو أقرب الطرق لله ، حتى ولو كان فيه ضرر له ، فالضرر الدنيوى أهون وأخف من الضرر والعذاب فى الآخرة . . والصدق هو - كذلك - أقرب الطرق للنجاح فى الحياة ، فالانسان الصادق يثق به الناس ، ويتعاملون معه دون شك فيه ، ودون خوف من التوائه . إذا كان تاجرا وثق الناس فيه ، وأقبلوا عليه ، وراجت تجارته ، ونمت ثروته . وسعد بدنياه وآخرته . .

يؤمن إيمانا عميقا يملك عليه لسانه وعمله بقول رسول الله ﷺ تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلاك فإن فيه النجاة [1] ان الصدق يهدى إلى البر وان البر يهدى إلى الجنة . وان المرء ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا [2] . وما أحسن أن يكون المسلم أمام الله صديقا ، وما إتسعه حين يكون أمام الله كذابا . . إن الله يغرس فى نفوس الناس ما يراه ويعلمه فى عبده من صدق أو كذب ، وكل حقيقة لا بد أن تظهر فى يوم من الأيام . . وإن الله إذا أحب عبدا نادى فى ملائكته إنى أحب فلانا فأحبوه ، ونادت الملائكة فى الناس إن الله يحب فلانا فأحبوه .

وهذا كناية عن توجيه الله لقلوب الناس بحبه والثقة فيه والالتفاف حوله . . وهو غاية ما يتمناه الانسان فى حياته . ومقدمة وعلامة على حب الله له . واطمئنانه إلى آخرته . .

ومقابل هذا ما يلقاه الكذاب من بغض الله له . وزرعه فى قلوب الناس بغضه وكراهته والانفضاض من حوله . .

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا

(٢) متفق عليه

وانطلاقا من حرص المسلم على تحرى الصدق مع الله ومع الناس يجد نفسه حريصا على إتقان عمله الذى يعمله . سواء كان عبادة لله ، أو معاملة مع الناس . . . فهو يتقن عبادته ، ويتقن العمل فى وظيفة ، فى زراعة ، فى صناعة ، فى أية مهنة يقوم بها ، بعيدا عن الرياء والغش . فمن غشنا فليس منا ، لأن المسلم الحقيقى لا يلجأ إلى الغش فى أى عمل يتولاه ، خوفا من سيده ومولاه ومراقبة له . . ونحن نرى الذين يتقنون عملهم ، ويقومون به كما ينبغى . يجدون تقديرا ممن حولهم ، ويقبل الناس على معاملتهم . وتقبل الدنيا عليهم . .

فالصدق وإتقان العمل وسليتان من وسائل النجاح فى الحياة ، وإقبال الدنيا بثروتها وجاهها على الإنسان . . فوق ما ينتظره المسلم من جاه عند الله ، وللآخرة خير وأبقى . فإن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه كما قال رسول الله ﷺ ، فيكسب مكسبين : يكسب دنياه ، ويكسب آخرته . .

ولقد كان صدق المسلمين وأتقانهم لعملهم الذى يُسند اليهم فى أى مكان يحلّون فيه ، دعاية طيبة للإسلام . وسببا من أسباب إقبال الناس عليه ، واعتناقهم له ، حتى تحولت شعوب البلاد المفتوحة فى العراق وإيران والشام ومصر وشمال افريقيا وغيرها إلى مسلمين دون ضغط ، وحتى صارت شعوب فى وسط أفريقيا وغربها وشرقها ، وفى شرق آسيا إلى مسلمين دون أن تطأ أرضهم قدم جندى مسلم بسلاحه . . ونحن نرى فى حياتنا صورة عملية واقعية من حال الذين يصدقون ولا يكذبون ولا يغشرون ويتقنون أعمالهم ، ونرى ثقة الناس بهم ، والإقبال على التعامل معهم ، حتى ولو كانوا غرباء أجانب عنه . . كما نرى عدم ثقة الناس بمن جربوا عليهم الكذب والغش فى المعاملة ، وتجنب التعامل معهم ولو كانوا من جنسهم وعلى دينهم . . فالدين المعاملة . .

وهكذا يرى المسلم نتيجة الصدق وإتقان العمل عند الله وعند الناس . وكيف يوفران للناس الحسنيين ، ويرى نتيجة الغش والكذب وخداع

الناس ، من غضب الله ، وغضب الناس ، والمسلم المخلص من شأنه أن يتحرى كل عمل يرضى عنه مولاه ، ويجلب له حب الناس ، وتدفقهم عليه للتعامل معه . وماذا يطلب أى مسلم عاقل غير هذا . . الدنيا والآخرة معا ، ولقد أخذ الأجانب طريق الصدق وإتقان العمل وسيلة إلى الكسب المادى ، فنجحوا فى ذلك أيما نجاح ، وكان من خيبتنا أننا حين اردنا سلوك هذا الطريق قلنا (كلامنا واحد زى الخواجات) ولم نقل كلامنا واحد وصادق لأن هذا هو ديننا !!

• • •

● مقبل على العلم

والانسان بطبيعة ميال إلى العلم وحب الاستطلاع والمعرفة ، والمسلم الحق يعرف من دينه أنه يشجع على العلم والاستزادة منه ، حتى إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وأن طالب العلم المستزيد منه يعتبره الله من المجاهدين فى سبيله فمن خرج لطلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع [1] والدنيا ملعونة معلون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما [2] والحكمة ضالة المؤمن أن وجدها يلتقطها وهو أحق بها

وكلما ازداد علما ازداد قربى إلى الله ، أى علم نافع له ولأمته ، وليس علم الدين وحده ، فلقد وجه الرسول ﷺ صاحبه زيد بن ثابت لتعلم اللغة العبرية . وجعل فداء أسراه يوم بدر أن يعّلم الأسير عشرة من المسلمين القراءة والكتابة . . فكل علم يرفع من شأن الفرد ، أو حرفة تسد حاجة من حاجات الفرد والجماعة وهو مما يجب أن يتوفر عليه المسلمون ، حتى لا يحتاجوا الى غيرهم حاجة تذلهم ، وتجعلهم تحت رحمة الغير . .

وهكذا يكون العلم من ملامح شخصية المسلم ، وأى مسلم يتخلى عن هذا يكون مسلما فاقدا لخاصة من خواص المسلم الحقيقى ، فإن الاسلام لا يعرف ولا يقر هذه الأمية الكتابية ولا أمية المعلومات والحرف والصناعات فى المسلمين . ولا يحب من المسلم أن يترك غيره يسبقه فى مضمار المعرفة ، ولا يرضى من المسلمين هذا الوضع الراهن لهم ،

---

(١) رواه مسلم

(٢) رواه الترمذى

حيث يعيشون متخلفين عن أمم برزت وسادت فى ميدان العلوم والصناعات ، وأصبحت تسيطر على العالم بعقول أبنائها وإنتاجهم فى ميادين الحياة . ويعيش المسلمون مستهلكين ، عالة على غيرهم .

فالعلم يرفع بيتا لا عماد له * والجهل يهدم بيت العز والشرف

هكذا حفظنا فى صغرنا ، ورأينا صدق ذلك ماثلا أمامنا حين عقلنا الحياة ، ووقفنا على حال الأفراد والأمم . . وعقلنا كيف تأخر المسلمون بعد تقدم ، وذلوا بعد عزة ، وصاروا فى عداد الأمم المتخلفة ، أو النامية كما يقال ، وفقدوا بذلك أهم مكون من مكونات شخصية المسلمين فى الحياة . . مع أنهم يرون أمما حولهم كانت متأخرة عنهم فى العصر الحديث ، فسبقتهم بعلمها وصناعاتها ، وصارت تصدر إلينا إنتاجها الدقيق والمتنوع ، ونحن نتهافت على إنتاجها . وفينا من القدرة والذكاء ما يجعلنا نتفوق عليها ، ولكن النوم والتراخى ، وعدم الإحساس بالواجب الدينى والدنيوى ، يجعلنا على هامش الحياة . . ولا تدرى إلى متى ؟ إلى متى تظل شخصيتنا كمسلمين مهتزة ، وملامحنا كمسلمين مفقودة ، وليست شخصية المسلم قاصرة على الهرولة إلى المساجد ، وإلى التجمع مع غيره بالملايين فى موسم الحج ، ولكن شخصيته مع ذلك فى وزنه العلمى والصناعى بين الأمم . فالأصفار الكثيرة لا تجمع أكثر من صفر ، لا شيء . . وقوة الاسلام فى قوة أبنائه فى شتى نواحى الحياة ، والمسلمون الضعفاء لا يمكنهم أن يرفعوا للاسلام علما ، ولا صوتا بل إنهم يجهلهم ، وتأخرهم عالة على دينهم ، وسبة له ، ومنفرون منه ، وحجة عليه ، وما هكذا أراد الله من المسلم . . ولا أراد له هذه الحياة التى لا تتسق مع دين ولا مع دنيا . .

المسلم إنسان متعاون

إن الحياة بتشابك المصالح فيها ، وتعدد وجوه العمل والانتاج ، وتفاوت القدرات ، تفرض على الناس أن يتعاونوا ليعيشوا ، لأنهم لو تنازعوا وأفرغوا جهدهم فى النزاع فسدت حياتهم وتوقفت أو تأخرت . . . والمسلم يعرف من دينه أنه يزكى فيه فطرة التعاون وينميها ، إلى حد أنه يأمر بها فى كتابه الخالد - القرآن الكريم ، فيقول : « **وتعاونوا على البر والتقوى** » ولكى يحصر تجنيد الجهود فى سبيل الخير والمنافع قال بعد ذلك « **ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب** »[1]

ويعنى الرسول الكريم ﷺ بغرس هذه الروح فى أتباعه فيضرب المثل لهم فى غاية الوضوح فيقول مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر[2] ويقول : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه . من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرّج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة متفق عليه .

ويقول المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه ، رواه البخارى ومسلم ويقول : ان لله عبادا اختصهم لحوائج الناس ، يفزع الناس إليهم فى حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله رواه الطبرانى . .

---

(١) المائدة / ٢

(٢) رواه البخارى ومسلم

ويقول وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها ، أو ترفع له عليها متاعه صدقة ـ متفق عليه .

وقال مرّ رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال : والله لأنحين هذا عن المسلمين حتى لا يوذيهم فأدخل الجنة رواه مسلم . وتوجيهات الرسول ﷺ للتعاون بين المسلمين كثيرة ، ومتنوعة الجوانب ، ومن شأنها ان تطبع المسلم ، وتميز شخصيته برسوخ روح التعاون فيه ، حتى وجدنا من الامثال الشعبية مايعتبر صدى لهذه الإحاديث فى النفوس فقيل « البيضة لو كان لها ودنين لشالوها اثنين » وانطبع المجتمع المسلم بطابع التعاون على مر القرون ، واستقر فى أعماقه . . فإذا كنت ترى غير هذا فى مجتمعنا الآن ، فهذا مرض وفد على الأمة ، ومن الضرورى عليها أن تقاوم هذا المرض وتعود إلى صحتها . . وإحياء روح التعاون بينها فى شتى المجالات . فالناس بخير ما تعاونوا وخير الناس أنفعهم للناس . . والدنيا تدور وهى دول ، يوم لك ، ويوم عليك . والحياة قصاص . وبقدر ما تعطى تأخذ . .

والمسلم الحقيقى أمام هذا كله لا يملك إلا أن يكون متعاونا مع من حوله ، ومع الناس جميعا ، ولو لم يرهم ، ولو كانوا على بعد شاسع منه . . لا يملك إلا أن يكون إنسانا إيجابيا ، متجاوبا مع الأحداث وقد قصرت المسافات ، واقترب البعيد ، ووسائل المعاونة يمكن نقلها سريعا إلى أبعد مكان . لتنقذ جائعا ، وتشفى مريضا ، وتساعد مكروبا . . والمسلم من شأنه أن يملك إحساسا يشعر بحاجة البعيد عنه سواء من إخوانه المسلمين ، أو من غيرهم ، وهو معطاء بطبيعته الإسلامية . والله يخلف عليه ما ينفقه ، وهو خير الرازقين ، وما نقص مال من صدقة ، والقليل مع القليل كثير . والصوت مع الصوت رعد يزلزل الجبارين . ويوقظ النائمين وينبه الغافلين . . وإنقاذ كلب من الموت ، وسقيه بماء كان سببا فى مغفرة الله لمن فعل ذلك . فماذا يكون الثواب لو كان التعاون فى سبيل إنقاذ نفس أو نفوس وشعوب ؟ . والتعاون كما يكون

لتحقيق المنافع ، يكون كذلك مطلوبا لدفع المضار ، حيث يجب أن يقف المسلمون جميعا صفا واحدا فى وجه الظالمين ، والمستبدين الغاشمين ، ولا يقفوا موقفا سلبيا من ظلم يقع على فرد ، أو جماعة ، فاليوم على ذاك ، وغدا عليك . والساكت عن الحق شيطان أخرس ، والتخاذل يجرىء الظالم على استمرار ظلمه للناس ، وبغيه عليهم . والظالم مهما يبلغ من العتو ضعيف أمام كلمة الحق الجريئة ، وسرعان ما ينكمش ، لووجد الذين أمامه متعاونين عليه ، لردعه عن ظلمه وبغيه ، والرسول ﷺ يبين لنا الطريق حين يقول : انصر أخاك ظالما أو مظلوما قالوا : هذا المظلوم . أى عرفنا الأمر معه - فما بالنا ننصر الظالم ؟ قال : نصره منعه من ظلمه - البخارى .

هذه هى وظيفة المسلم وواجبه فى الحياة ، إنسانا متحركا متعاونا فى سبيل تحقيق الخير ، متعاونا فى تقليم اظافر الشر ، والناس بخير ما تعاونوا . . وخير الناس أنفعهم للناس . .

وعلى هذه الصورة الكريمة تبرز شخصية المسلم فى أى مكان ، وأى مجتمع يحل فيه . أو يجب أن تبرز وتتميز . .

• • •

المسلم إنسان وفى

وشخصية المسلم يجب أن تبرز أمام الناس كذلك على أنه إنسان وفى بالوعد وبالعهد ، متى كان فى سبيل خيره أو خير الناس أفرادا أو جماعات والله يخص المؤمنين به بهذا النداء وهذا الأمر ﴿ يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾[1] ويأمرهم ﴿ وأوفوا بالعهد أن العهد كان مسئولا ﴾[2] أى مسئولا منكم تنفيذه ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها ﴾[3] ومدح المؤمنين بأنهم ﴿ يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ﴾[4] وعلى عكس ذلك يذم الذين ينقضون عهودهم ويتوعدهم باللعنة وسوء الدار التى يصيرون إليها فى الآخرة . .

وأضاف الرسول ﷺ إلى هذا أحاديث كثيرة فى الأمر بالوفاء وتزيينه للمسلمين ، والنهى عن الغدر، وعدم الوفاء بالوعد ، وذم الذين يتعاملون مع الناس به ، أو مع الله سبحانه ، وبين لهم أن الغدر أو خلف الوعد ليسا من صفات المسلم أبدا ، بل هما من صفات المنافقين الذين هم ﴿ فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا ﴾ فقال فى وصفه : إذا عاهد غدر وقال : واذاوعد أخلف .،.

وبذلك يصبح من أبرز صفات المسلم ، ومن معالم شخصيته ، أن يحافظ على مواعيده ، ولا يتخلف عنها إلا لعذر قاهر خارج عن إرادته ، وأن يعتذر لمن اخلف معه موعده ، سواء كان موعدا بلقاء ، أو مكالمة أو بسداد أو بتسليم شيء أو غيره ذلك من الأمور التى يضرب لها موعدا . .

---

(١) أول سورة المائدة
(٢) الاسراء / ٣٤
(٣) النحل / ٩١
(٤) سورةالرعد / ٢٠

وكذلك يوفى للناس بالعهد الذى قطعه على نفسه ، مهما يتحمل فى سبيل ذلك من مشقات ، ولو مع غير المسلمين ، فرسول الله يقول أيما رجل أمَّن رجلا على دمه ، ثم قتله ، فأنا من القاتل برىء ، ولو كان المقتول كافرا رواه ابن حبان .

وذلك لأن شخصية المسلم تأبى الكذب والغش . والغدر ، وعدم الوفاء بالوعد أو العهد . مع أى إنسان يتعامل معه . . مسلما أو غير مسلم ، بل قد يكون الوفاء مع غير المسلمين أوجه وأكثر حسنا ، ليروا الوجه المشرق للأخلاق الاسلامية ، وكيف صنع الاسلام وَرَبَّى نفوس أبنائه ، فيحبون الاسلام ويقبلون عليه . . ويتبين من هذا خطأ وجهل بعض المسلمين الذين يظنون أنه لا تثريب عليهم من سوء معاملتهم لغير المسلمين ، فإنهم بهذا الظن الجاهل ، يسيئون من حيث لا يشعرون إلى دينهم وإلى أنفسهم . . فكثيرا ما كان صدق المسلمين ووفاؤهم ، وتجملهم بمكارم الاخلاق فى معاملاتهم لغير المسلمين ، سببا قويا فى اعتناقهم للاسلام . . حتى ليذكر التاريخ أن المسلمين الحكام فى مصر وغيرها من البلاد التى فتحوها بجيوشهم وحكموها ، لم يُكرهوا أحدا على اعتناق الاسلام ، ولكن الشعب غير المسلم رأى حسن أخلاق المسلمين ، وحرصهم على الفضائل ، فجذبهم هذا المسلك الطيب للاسلام وأسلموا ، وصارت البلد إسلامية . . حتى البلاد التى لم تصل اليها جيوش المسلمين ، قد اقبلت على الاسلام لحسن أخلاق التجار والعلماء والدعاة الذين وصلوا اليها ، وعاشوا فيها وسط أهلها ، وكانوا صورة طيبة للاسلام .

فشخصية المسلم هى دائما شخصية فاضلة ، حريصة على التجمل بمكارم الأخلاق ، مع كل من يلتقى بهم ، ويتعامل معهم ، بصرف النظر عن اختلافهم عنه فى الدين أو الجنسية .

ولعلنا نحس ذلك تماما ، حين يقف الواحد منا على ما فعله مسلم من المسلمين من فعل سيىء ونحن فى الخارج . . إن الانسان ليحزن ويشعر

بالخجل والاسف . . لأن هذا المسلم قد أعطى انطباعا سيئا عن المسلمين ، فى الوسط الذى يعيش فيه بالخارج .

كما يحس الواحد بالخجل والألم حين يرى مصريا دنيئا ، أو محتالا ، أو سارقا ونشالا ، أو يتصرف تصرفا مخجلا . . فى وسط آخر ولا سيما الذى لا يعرف المصريين أو المسلمين أو الاسلام إلا من تصرفات أتباعه . . فكم يصد هذا الرجل عن الاسلام ، وكم يثير سخط هؤلاء الناس عليه وعلى المسلمين وازدرائهم . . وإحساسا بالخجل والألم من مثل هذه التصرفات الشاذة ، إنما هو نابع من شخصيتنا الاسلامية أو المصرية الأصيلة . وامتدادنا أو اعتزازنا بها . وحاسيتنا نحوها . . . وأولئك الذين يستغلون الغرباء عنا والسائحين ، ويبتزونهم ، ويخدعونهم للحصول على أموالهم ، ويسيئون معاملاتهم بشتى أنواع الحيل ، هؤلاء قد بهتت فيهم الشخصية الاسلامية . وضاعت معالمها . فالمسلم إنسان طاهر القلب ، طاهر اليد . . عف اللسان . . وفى بوعده وعهده . وهو لذلك جدير بكل تقدير واحترام .

• • •

المسلم إنسان نظيف

والمسلم كذلك إنسان نظيف فى بدنه ، نظيف فى ثيابه ، وفى بيته ، وحيثما يكون ، لأنه يعرف توجيه رسوله الكريم ، وتقديره للنظافة ، وحبه لها ، حين قال : إن الله جميل يحب الجمال سخىّ يحب السخاء ، نظيف يحب النظافة . وحين قال لصحابته فى المدينة نظفوا أفنتيكم ولا تشبهوا باليهود وحين وجد رجلا من صحابته وعليه ثياب رثة وسخة فكره ذلك منه وسأله : ألك فضل مال ؟ قال نعم . . فأرشده إلى أن يكون له ثوبان غير ثياب العمل[1] ، حتى يحضر اجتماع المسلمين ، ويقابل الناس بثيابه الحسنة . ومظهره الطيب . وقال : إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وحينما وجد رجلا ملبد الشعر قال له : أما وجدت شيئا ترجل (تسرح) به شعرك ؟ وكان عليه الصلاة والسلام يحرص على أن تكون له مكحلة ومرآة ومشط يصطحبها معه فى سفره ، ويحب التطيب ، ويدهن شعره بالزيت ويرجله ، وكان عبد الله بن مسعود صاحبه وخادمه يعنى له بذلك . . وقد أمر المسلمين بأن يغتسلوا لصلاة الجمعة ، وينظفوا بدنهم ، حتى لا تنبعث منهم رائحة العرق ، وهم مجتمعون بإخوانهم للصلاة ، ويأمرهم بأن يلبسوا ملابس نظيفة ليذهبوا بها للصلاة ، ويتطيبوا ، حتى يشم منهم الناس الروائح الطيبة ، ويستريحوا لمنظرهم ورائحتهم ، وقال : من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا ويبتعد عن مجالسنا) أو فليعتزل مساجدنا والاجتماع فيها . . حتى لا

---

١) وقال . ما على أحدكم لو اتخذتم ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبى مهنتكم ، وقال أيضا نظفوا ثيابكم وحسنوا احوالكم حتى تكونوا شامة بين الناس

يشم الناس منه ما يكرهون ، وهم لا يستطيعون الخروج وترك المسجد . . فيكون مبعث مضايقة لهم ، وربما حملهم ذلك على كراهة المسجد والاجتماع فيه . وقد فرض الله الصلاة على كل مسلم ومسلمة خمس مرات فى اليوم ، وأمر بالوضوء والتطهر كشرط لصحتها فى قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وارجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا ﴾ أى بغسل الجسم كله . . وأضاف الرسول ﷺ أمورا يسن للمسلم أن يفعلها ، كغسل الكفين فى البدء ، والمضمضة والاستنشاق ، ومسح الأذن بالماء ، واستعمال السواك فى الفم لتنظيفه .

وهذا كله يتكرر فى اليوم عدة مرات . . ونلاحظ أن هذا التطهير المتكرر بالماء إنما هو للأعضاء الظاهرة المكشوفة المعرضة باستمرار للهواء والغبار والجراثيم . مما يستدعى العناية بها وتنظيفها عدة مرات فى اليوم . .

فالكفان تمتدان إلى أشياء كثيرة ، وهما الوسيلتان الوحيدتان لقيام الأيدى بوظيفتها ، ولهذا يصيبها التلوث بأشياء كثيرة .

والفم الذى يتبقى فيه شىء من آثار الطعام والشراب لا سيما فى الأسنان ، ويصيبها التخمر وتتولد فيه الميكروبات، وتنبعث منه الروائح مع التنفس ، وتتأثر به اللثة والأسنان . . هذا المخزن المهم يحتاج إلى تنظيف باستمرار بالماء ، والأسنان تحتاج إلى ذلك بالسواك أو بالفرشاة حتى يزول كل ما يتخللها أو يتراكم على اللثة وجوانب الفم من الداخل . .

والأنف بفتحتيه وتجوفه يتسرب اليه الكثير مما يعلق بالجو ، بالاضافة الى افرازات داخلية ، وهو لذلك يحتاج باستمرار إلى تنظيف . .

والوجه وهو واجهة الانسان المكشوفة دائما ، المعرضة لكل شىء فى الجو ، من غبار وجراثيم . واليدان الى المرفقين كثيرا ما نكشفها للعمل ، والرأس بالشعر وما يتعرض منه للجو ، وما يكون فيه من إفرازات البصيلات الشعرية الدهنية ، والأذن بتجاويفها – وما خلفها ،

مخزن معّد لتكاثر الأتربة والجراثيم فيه ، وتحتاج إلى موالاة التنظيف بالماء . . والقدمان واستعمالاتها معروفة ، وتنظيفها مع تحليل الأصابع ضرورة . . هذه الأعضاء المهمة المعرضة للتلوث ، جعل الاسلام تنظيفها وتطهيرها بالماء ولعدة مرات عبادة وذلك من شدة عنايته بالنظافة وسلامة الجسم . .

وقد حدثنى صديقى العالم الطبيب المؤمن الدكتور محمود محفوظ وزيرالصحة سابقاً أن مجرد استعمال الماء وحده فى عضو يقتل ٧٠٪ من الجراثيم العالقة به ، وهو من كبار أطبائنا العالميين . . وكان يحدثنى عما اقتنع به علميا من حكمة الاسلام فى فرضه الوضوء والتطهر بالماء للصلاة ، فوق الاغتسال للجسم كله من كثير من الميكروبات والوسخات . وكان حديثه ممتعا وشيقا ومقنعا ، رجوته أن يكتبه بالانجليزية ليطلع عليه الأجانب . .

• • •

نظيف اللسان والكلمة

والمسلم مع نظافة بدنه وثوبه . وكل ما يستعمله ، إنسان نظيف اللسان أيضا ، ليس بذيئا ولا طعّانا ، ولا لعّانا ، ولا فاحشا بذىء اللسان ، ولا ثرثارا كثير الكلام ، بمناسبة وبغير مناسبة ، يتكلف الحديث ، ويصدِّع أدمغة الناس بلغوه وثرثرته ، ولا متشتيا متطاولا على الناس ، ولا متفيهقا مستعرضا قدرته على الكلام ، متعاليا على الناس متكبرا .

بل إنه إنسان يعرف تماما توجيه الرسول « رحمَ الله امرءا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم » ويعرف أيضا أن الكلمة الطيبة صدقة ولها ثوابها ، وأن الانسان إذا لم يجد كلمة طيبة يكسب بها ثوابا وذكرا حسنا فى الدنيا والآخرة . فإن الأولى به أن يسكت عن الشر ، فإن سكوته حينئذ له به صدقة وثواب . . وأن الحياء من الإيمان ، وأن الرفق فى الأمور كلها ، ومنها حديث اللسان ، زينة للانسان ، ومكسب له عند الله وعند الناس ، فما كان الرفق فى شىء إلا زانه ، وما نُزع الرفق من شىء إلا شانه وعابه . . وأن من يحرم الرفق يحرم الخير كله وأن الله مدح المؤمنين ووصفهم بأنهم هدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط حميد [١] وأن الله علم موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام ذلك حين أمرهما **﴿ اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾**[٢]

---

(١) سورة الحج

(٢) سورة طة

لأن الكلمة الطيبة الحكيمة أسرع للقبول ، وأنفذ للقلوب وكسر حدة الثورة فى النفوس ، ولذلك يقول الامام على كرّم الله وجه « من لانت كلمته وجبت محبته » . . وفى مثلنا الشعبى (الملافظ سعادات وشقاوات أيضا) . . فما يتلفظ به الانسان من كلمات يكون منه سعادته أو شقاوته وإن الانسان ليتلفظ بالكلمة لا يلقى لها بالا يهوى بها فى النار سبعين خريفا كما يقول رسولنا ومؤدبنا ﷺ . . والمرء بأصفريه : قلبه ولسانه وفى مثلنا الشعبى يقول الناس : لسانك حصانك إن صنته صانك وأضفى عليك مهابة ومحبة . ويقول الرسول ﷺ : أكثر خطايا ابن آدم من لسانه . وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم . . يعرف المسلم هذا وغير هذا من توجيهات دينه ، فيصون لسانه عن كل قول قبيح شاذ ، فلا يصدر عنه إلا العسل والشهد المصفى . . يجد الناس فيه حلاوة وطلاوة ، فيحبونه ويجلّونه ويقبلون على الاستماع إليه ، والارتياح له . . والانصياع إليه . . مع تقدير الله له . . وتكون هذه الحلاوة والطلاوة الظاهرة صدى لباطنه النظيف ، وقلبه الطاهر العفيف ، الذى لا يحمل حقدا ولا حسدا ، ولا يضمر سوءا لأحد ، فيكون بذلك حلو الظاهر والباطن ، جميل المظهر والمخبر . . زهرة جميلة تنفح العطر الجميل . .

• • •

وإنسان منتج

والمسلم إنسان حريص على أن يعمل ويكسب حلالا ، وينفق ماله فى حلال يحبه الله . . يعرف أن دينه يقدّر العمل ويحث عليه ، ويحب من المسلم أن يأكل من جده وجهده ، ولا يعيش عالة على غيره . . ويكره منه التسكع والبطالة والتسول ومداليد للناس وسؤالهم . فرسوله يقول لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس فى وجهة مزقة لحم فقد تهرأ وجهه وتساقط لحمه من كثرة ما واجه الناس يستعطفهم ليعطوه شيئا من إحساناتهم . ولأن يأخذ أحدكم حبله ، فيحتطب على ظهره ، خير له من أن يسأل الناس ، أعطوه أو منعوه . . يعرف المسلم أن دينه يعتبر العمل والكسب الحلال عبادة ، تساوى الجهاد فى سبيل الله . وأن الذى يؤدى ما فرضه الله عليه من عبادة ، ثم ينطلق للعمل ليكسب قوته وقوت من يعوله ، خير من الفارغين الذين ينقطعون لعبادة الله ليلا ونهارا ، ويعيشون على حساب غيرهم ، ومن عرقهم وكدهم ، فقد سأل رسول الله جماعة من صحابته عن أخيهم ، فقالوا : إنه منقطع للعبادة ، فسألهم : من يعوله ويطعمه ويكسوه ؟ قالوا : كلنا يا رسول الله . قال : كلكم خير منه . . وقال ما من إنسان يحرث حرثا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة وقد قال الله سبحانه ﴿ **فإذا قضيت الصلاة** (أى صلاة الجمعة) **فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** ﴾[1] أى لا تنسوا أن تكونوا على صلة قلبية بربكم حين إنتشاركم وسعيكم لتتلقوا

منه المعونة والبركة والتوفيق . وتشعروا بالطمأنينة . وقال تعالى : ﴿ فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾[٢] واختار التعبير بمناكب الأرض ، لأنها العالية الشاقة فى المشي والسعى . وكأنه يقول : إن العظائم كفؤها العظماء . فكونوا عظماء فى سعيكم وإنتاجكم . وقال تعالى ﴿ فاذا فرغت (أى من التعبد) فانصب (أى كدّ واتعب فى طلب الرزق) وإلى ربك فارغب ﴾[٣] أى اتجه إلى ربك فى نصبك وتعبك يبارك لك فيه . . وقال ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعلمون ﴾[٤] ويوفيكم جزاءه . . بعد ما قطفتم ثمرات عملكم فى الدنيا . . وقال ﷺ شر الناس يوم القيامة المكفى الفارغ أى الذى يكفيه غيره مئونته والفارغ الذى لا يعمل . . فالمسلم تتميز شخصيته بأنه إنسان عامل منتج متقن لعمله ، لا يعرف كسلا أو خمولا ، أو تهاونا فى عمل . .

---

(٢) سورة الملك

(٣) الانشراح (ألم نشرح)

(٤) سورةالتوبة / ١٠٥

وهو رجل آمين

والمسلم رجل أمين على كل ما يأتمنه الله والناس عليه ، يرعى حق الأمانة ، ويؤديها على وجهها الأحسن . يعلم أن ما كلّفه الله به من عبادة وأخلاق ، أمانة فى عنقه ، لا بد أن يؤديها ، وأن حقوق الناس بين يديه أمانة ، فيؤدى لهم حقوقهم ، وأن كل عمل يكلف به فى أى موقع من المواقع يصبح أمانة فى عنقه ، صغيرا كان العمل أم كبيرا ، والعلم الذى تعلمه أمانة ، لا بد أن يفيد الناس منه . . والله سبحانه وتعالى يقول للمؤمنين : ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نِعِمَّا يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا** ﴾[1] ويقول ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾[2] ويقول ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا** ﴾[3] والأمانة هنا المراد بها التكاليف والواجبات التى أوجبها الله على الانسان لما يتميز به من عقل وحكمة . . وأداء الأمانة يكون بقيام الإنسان بما عليه من واجبات نحو الله ونحو الناس . وليس المراد فحسب الوديعة التى يؤتمن عليها ، بل إن كل عمل يكلف به يصبح أمانة ، حتى ما يسمعه فيما يدور فى المجالس ، يصبح أمانة لا يصح أن ينقله خارجها . والحكم أمانه ، واختيار الرجل

---

(١) النساء

(٢) الأنفال

(٣) آخر الاحزاب

المناسب للمكان المناسب أمانه .[٤] وخيانة الله ورسوله والناس ، تكون فى عدم قيام الانسان بما عليه نحو الله والناس . . وتفريطه فى الواجبات التى عليه . . وهذه ليست من صفات المسلمين الملتزمين ، وإنما هى من صفات المنافقين وضعفاء الايمان ، كما يقول الرسول ﷺ آية (وعلامة) المنافق ثلاث ومن كانت فيه خصلة منها كانت فيه خصلة من خصال النفاق : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أوتمن خان وفى حديث آخر يضم الرسول إلى هذه الخصال وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر . والمسلم يسوؤه ، ويهدر وزنه وقدره ، أن يكون شبيها بالمنافقين الأراذل الذين لهم الدرك الأسفل من النار والذين يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم فى صفة من صفاتهم الخبيثة التى يمقتها الله ورسوله والناس أجمعون . . فإذا رأيت مسلما مفرطا فى أمانته ، والواجب الذى عليه ، فتيقن أنه لا يمثل الوجه الصبوح للاسلام ، وأنه غير وجهه ، وهز شخصيته المسلمة بشىء مما فرط فيه وأهمله . .

---

(٤) والرسول ﷺ يقول · إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة . فقالوا : وكيف إضاعتها ؟ قال : إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة وهى ساعة الأمة وخرابها . ولما سأله حبيبه وصاحبه أبو ذر أن يوليه على عمل ، قال له إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذى عليه فيها ، ثم نصحه وقال . لاتولين مال يتيم ، ولا تؤمرن على اثنين ، لما يعلم من ضعفه عن الإدارة ، ولو أنه قوى فى دينه .

حفيظ على دينه ووطنه

والمسلم إنسان تبرز شخصيته فى حفاظه على دينه وعرضه ووطنه الصغير والكبير الذى ينتسب إليه . . يرى الولاء لدينه ووطنه وأمته وأسرته والحفاظ على ذلك كله من الخدش والاعتداء أمرا مقدسا ، يحميه بكل ما يملكه من جهد ومال وروح . . فهو لا يرضى الدنّية فى دينه ، ولا يقبل أن يمسه أحد فى عرضه أو أمته ، أو يعتدى على شبر من أرضه الخاصة ، أو أرض أمته التى ينتسب إليها . .

واذا كان ذلك أمرا مركوزا فى الطباع فإن الله سبحانه قد نظمه ووجه أحكام تنظيم وتوجيه ، حين أمر به ، ووعد بأعظم الثواب عليه . . ورسم له كيف يحافظ على ذلك من أول الأمر ، ويبنيه بناء محصنا . . فلا بد أولا من ان يبنى أسرته بناء سليما . . ويربيها تربية حسنة ، ويعودها على طاعة الله ومكارم الأخلاق ، بالقدوة الحسنة ، والتوجيه السليم الحكيم . . وهو لكى يحمى نفسه وأسرته من شرار الناس لابد أن يكون هو نفسه محافظا على حقوق الناس . بعيدا عن المساس بحرماتهم ، واضعا نفسه موضع الآخرين ، حتى يسهل عليه أن يؤدى لهم حقوقهم ، ويمتنع عن المساس بهم . . فلقد جاء شاب إلى رسول الله ﷺ ، وبطبيعته البدوية ، وفطرته الساذجة ، قال يا رسول الله : إننى أريد أن أزنى !! وكان كلاما غريبا غير معتاد . . ولكن وسعه حلم الرسول العظيم ، ورأى أن يأخذه بالتربية التى تناسبه ، فقال له : أتحبه لأمك ! فقال : لا . . فقال أتحبه لأختك ؟ اتحبه لبنتك ؟ وهو يقول : لا . . لا . . وكان الرسول يقول له : فكذلك الناس ، لا يحبونه لأمهاتهم ، ولا لأخواتهم ، ولا لبناتهم وجلس الشاب يفكر ، وقد أخذه

منطق رسول الله . . وأحاط به . . فمسح الرسول على صدره ودعا له . . فانصرف على حالة غير الحالة التى أتى بها . وقد نفذ كلام الرسول إلى قلبه ، وملك عليه نفسه وحسه . . ومن منطلق هذا التوجيه الحكيم ، قال رسول الله قولا جامعا لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . حتى يتخذ كل مسلم هذا التوجيه قاعدة له فى حياته وتصرفاته ، وقبل أن يقدم على شىء يمس أحدا أو أمة ، يفكر : هل يقبل ذلك على نفسه ؟ هل سيمر اعتداؤه على الغير بسهولة ؟ هل سيثور إذا وجد احد يعتدى على عرضه أو ماله أو أمته ، وينهض للرد عليه ؟ فإذا وجد نفسه كذلك ، فلا بد أن يعرف أن غيره مثله ، لن يقبل منه اعتداء عليه . ولن يسكت ولن يستنيم ، وحتى إذا سكت فسكوته قد يكون مؤقتا لضعفه أو قلة حيلته ، ولكنه سينتهز الفرص للرد عليه . وربما ردّ الصاع له صاعين . وقلبه مفعم بالسخط عليه . . ان المسلم حين يفكر هذا التفكير الواعى ، ويضع نفسه موضع الغير ، فإنه سيتردد كثيرا قبل الاقدام على شىء يسىء إلى غيره ، وهو تردد سيؤدى قطعا إلى الكف عن إساءته لغيره . . وبهذا التوجيه النبوى الحكيمة لو سار الناس عليه ، وهو لن يكلفهم شططا - يستقر الأمن والسلام بين الأمة ، ويكتفى كل إنسان مشاق الدفاع عن نفسه ، وعن عرضه ، وعن أمته . . فإذا ركب الناس رءوسهم ، واشتطوا فى تصرفاتهم ، وشذوا عن الطريق الحكيم ، فإن المسلم يجد نفسه مضطرا للدفاع عن نفسه وعرضه وأمته . ويكون فى حالة جهاد يزكيه الله ، ويثيبه عليه أعظم ثواب . . ولو أنصف الناس لاستراح القاضى ، واستراحوا هم أيضا ، ولكن أين تكون مهمة الشياطين - شياطين الجن والإنس ؟ إن شرور الشياطين هؤلاء لابد أن تلقى لها مجالا لدى الضعفاء على حساب راحة الناس وأمنهم . . وعلى حساب الضعفاء - ضعفاء الإيمان والنفوس الذين تجد الشياطين لها سلطانا عليهم . . ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم

سلطان إلا من اتبعك من الغاوين . وإن جهنم لموعدهم اجمعين ﴾[١] وحين ينفذ القضاء ، ويؤدى الشيطان مهمته فى الاغواء والتضليل ، ويأتى وقت الحساب ، يخبرنا الله بما سيكون **﴿ وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم (بمغيثكم) ولا أنتم بمصرخى ﴾**[٢] والله يعرض علينا هذه الصورة المستقبلية لنأخذ حذرنا من الآن ، ونستعد ونتسلح حتى لا نكون ضحية للشرور والاغواء فى حياتنا . . لنسلم فى دنيانا وفى آخرتنا . . كما أمرنا بأن ندافع عن أنفسنا وأعراضنا وديننا وأموالنا ، ورصد لنا أعظم ثواب لأنه سبحانه يعلم أن للشر أعلاما وأعوانا وأنه لابد من مواجهتهم وكسر حدتهم حتى لا يسودوا ، ويرهقوا الناس بطغيانهم **﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعضهم لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾**[٣] حين أرشدهم للخير ، كما أرشدهم ووجههم لكبح جماح الشر والشريرين ، وفى آية أخرى يقول **﴿ لولا دفع الله الناس بعضهم لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾** فبيّن مظاهر الفساد الذى أجمله فى الآية الأخرى **﴿ ولينصرن الله من ينصره ﴾**[٤] ينصر القيم والأخلاق الحميدة ويقف بجوار المدافعين عنها ، المضحين فى سبيل تدعيمها كما يريد الله . .

---

(١) الحجر ٤٢ ، ٤٣

٢) ابراهيم / ٢٢ ،

(٣) البقرة

(٤) سورة الحج

حارس للعدالة

والمسلم بتدعيمه للقيم والتزامه بالأخلاق يمثل عنصر الخير على الأرض ، وبموقفه الصلب عند أى إهدار لهذه القيم من جانب الشريرين العابثين ، يمثل القوامة على العدل فى الأرض التى كلّف الله بها المؤمنين ليكونوا موازين صدق فى الأرض ﴿ **يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وأن تولوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا** ﴾[1] فيؤاخذكم على تصرفاتكم السيئة حسابا عسيرا ، ويجزيكم الخير على الخير الذى تفعلون . وبهذا يضع الله للمسلم الايجابيات أولا ، ثم يضع أمامه السلبيات ويعلمه كيف يواجهها ولا يسكت عليها أو يتركها تستشرى ، وتخنق القيم وأصحابها . .

وبهذا الأسلوب أيضا يوجه الله المسلم الى الايجابيات فى حفظه لعرضه ، حيث يحرص من أول الأمر على اختيار الزوجة الصالحة التى اذا نظر إليها سرّته ، وإن أمرها أطاعته ، وإن غاب عنها حفظته فى ماله وعرضه . ويحرص على حسن تربية أولاده وتوجيههم لمكارم الأخلاق ، والبعد عن الشبهات ، والالتزام بأوامر الدين . . وارتداء البنات ملابس لا تشف ولا تصف . ولا تظهر مفاتن الجسد ، فتغرى الشباب بمعاكستهن والتعرض لهن وإيذائهن . . والله يقول لرسوله فى ذلك

---

(١) النساء / ١٣٥

﴿ يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن (فيسترن جسمهن) ذلك أدنى أن يعرفن (بأنهن عفيفات متحفظات) فلا يؤذين . وكان الله غفورا رحيما ﴾[٢] ﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن (فيسترن الرقبة وأعلى الصدر) ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن ، أو إخوانهن أو بنى إخواتهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾[٣] فيغرين الناس بالاحتكاك بهن ، والاعتداء عليهن ، ويطمعن فى النيل منهن . . فإظهار المفاتن تغرى بالإنقضاض عليها والطمع فيهن . . وبذلك يحيط المؤمنات أنفسهن بصيانة من التعفف والاحترام ، ويصن عرضهن وعرض الأسرة كما يصن الرجال والشباب أيضا من النظر لمفاتنهن ، والطمع فيهن ، فالفتاة أو المرأة التى تخرج عما رسمه الله لها من دائرة التعفف ، فتكشف عن مفاتن فى جسمها حرم الله كشفها ، تعتبر شريكة للرجال فى الاعتداء عليها ، أو محرضة لهم على الاحتكاك بها . والطمع فيها ، فإذا كان الله قد أمرهن ألا يضربن بأرجلهن ليعلم الرجال ما يخفين من زينتهن ، ويلفتن نظرهم إليهن ، مع أن أرجلهم مغطاة ، إذا كان الله قد أمرهن بعدم إظهار صوت أو همس الخلاخيل فى أرجلهن حتى لا يكون ذلك مدعاة للتحرش بهن ، فإن كشفهن لمفاتن جسمهن أدهى وأمرّ فى هذه الناحية من إثارة وإغراء الشباب والرجال بهن . .

فمع حسن التربية على الأخلاق الاسلامية وتكوين الضمير الاسلامى والعفاف النفسى فى البت ، يكون الاحتياط الظاهرى ،

---

(٢) الأحزاب

(٣) النور

والعفة الظاهرية تكون فى الجسد وفى الكلمة ، فالكلمة قد تغرى كما تغرى مفاتن الجسد وتطمع الرجال ، ولذلك أدب الله النساء ووجه الحديث لأشرفهن وأكبرهن منزلة وهّن نساء الرسول فقال ﴿ **يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا** ﴾ سليما طيبا لا تكسر فيه ولا إثارة . . فالكلمة تغرى ، والضحكة والابتسامة ونظرات العيون ، والحركة ، كلها يمكن أن تغرى ، وتشد الرجال والشباب إليها ، وتطمعهم فى الجرى وراءها للنيل منها . . مما عبر عنه أمير الشعراء شوقى عليه رحمة الله :

نظرة فابتسامة فكلام ** فسلام فموعد فلقاء

والأولى بالمرأة المسلمة المتربية أن تتأدب ، بأدب الاسلام ، فلا يحدث منها شيء من هذا كله ، فى البيت ومنافذه ، أو فى خارجه ، حتى لا تثير قلاقل فى النفوس ، وتشغلها فى التفكير فيها ، وفى كيفية الوصول إليها . . وتجعل الرجال والشباب لعبتها . . وتنسى أنها امرأة مسلمة لها شرفها الذى يجب عليها أن تصونه ، ولها دينها الذى يجب أن تحرص عليه ، ولها عرضها وهو أغلى ما تملك . . والرجل المسلم مع عنايته بالتربية الاسلامية من أول الأمر ، عليه مع ذلك أن يكون يقظا فى حكمة ، ولا يترك بناته أو نساءه لمزالق ، ولا يرخى الحبل لهن إلى نهايته تحت اسم الثقة المفرطة ، فقد يؤتى الحذر من مأمنه فما بالك بمن لا يحذر معتمدا على الثقة المفرطة . . ؟ وليس معنى ذلك أن يفترض سوء النية . ويلعب الشك برأسه باستمرار ، فيتصرف تصرفات غريبة خارجة عن حد الطاقة . . بل يضع الثقة بجانب الحذر ، ويأخذ احتياطه بحسن التوجيه والحكمة فى التصرف مع الإقناع . . وإذا أرخى فلا يرخى باستمرار ، وإذا شد فلا يشد باستمرار . ويعقلها ويتوكل وخيرالأمورالوسط وهذا - كما أفهم - من توجيهات الاسلام للمسلم ليكون حفيظا أمينا على عرضه . . ولكن البلوى الآن تأتى من رياح

الغرب ، ووقعنا كأمة ضعيفة تحت تأثير الأقوياء وتقليدهم فى تصرفاتهم وتقاليدهم . . ونظرتهم للحياة غير نظرتنا نحن المسلمين ، وتحت تأثير التقليد لهم فنتزلق وراءهم ، ونظن أن كل ما يفعلونه ويرونه هو حسن وطيب وتقدم فنحذو حذوهم فى نظرتهم وتصرفاتهم ، دون أن نحسب حسابا للفروق الأصلية بيننا وبينهم فى بعض الأمور ، ولا سيما فيما يتعلق بالحرية الجنسية ، التى بلغت عندهم ـ الأصيلة ـ حد الفوضى والإباحة فى نظرنا . .

وإلا فبماذا نفسر إقرار البرلمان الانجليزى منذ سنوات إباحة (اللواط) متى تراضى عليه الطرفان !! . .

وبماذا نفسر مظاهر العبث الجنسى ، التى نراها فى الشوارع والمتنزهات هناك فى أمن وطمأنينة . دون عمل أى حساب لحق الناس والمجتمع . . اعتدادا بمبدأ الحرية الفردية الذى قد سن وجعلوه أعلى من كل اعتبار . فباسم حرية الفرد يتركونه يفعل ما يشاء بنفسه ، أو مع آخرين ، أو أخريات ، وأى إنسان يبدى ولو ملاحظة خفيفةولو من بعيد ، على مثل هذه المظاهر الفاضحة فى نظرنا يساق إلى قسم الشرطة ويحاكم ، ويحكم عليه ؛ لأنه اعتدى على حرية الآخرين !!!

حرية بلا حدود ولا قيود ، ولا مراعاة لأى اعتبار ، ومتى كانت الحرية هكذا بلا حدود ؟ . . ومتى أعطيت الحرية للأفراد بهذه الصورة ؟ وسلب حق المجتمع بهذا الإهدار . . أليس هذا كله هو عين الفوضى والطريق المنحدر إلى اختلال المجتمع ؟ ! . .

ولكن هكذا نظرتهم ولكن ﴿ لكم دينكم ولى دين ﴾ . لهم نظرتهم التى أقروها بعقولهم وأغراضهم ، وللاسلام وللتشريع الإلهى نظرته وهو من صنع الحكيم الخبير . .

واذا كان الانسان فى تحقيق مصالحة المباشرة يحرص على الانقياد لرأى الخبراء الموثوق بهم ، وفى مرضه يحرص على استشارة الطبيب الثقة والعمل بروشتته ووصفه الدواء ، فكيف يعدل عن هذا المنطق حين

يوضع رأى إنسان وتقنينه ، بجانب رأى الحكيم الخبير وتقنينه ؟ . . ان الانسان فى هذه الحالة يخرج عن العقل والمنطق ، ويجرى وراء أهوائه ونزواته ، ويلبسها ثوب الحرية أو يستعير نظرات مغرضة صهيونية لهدم المجتمع ، ويدعى أنه ينفذها علاجا للكبت الغريزى ، !! لأن الشباب حين ينطلق وراء غريزته لن يكون عنده كبت ولا عقد ، ولا ولا . . إلى مثل هذا من الكلام الهدام الذى يبررون به أو يسترون به نزواتهم الداخلية ، وأغراضهم الخبيثة !! ولو كان فيما يقولون ويدعون ، خير للبشرية حقيقى ، لكان خالق البشرية أولى وأعم بأن يقرره . . ولكنهم هكذا ساروا ، وهكذا فلسفوا سيرتهم ، ووضعوا لها المبررات ، ولسنا عليهم بمسيطرين ، إنما نحن نسيطر على أنفسنا ، نحن المسئولين عن أنفسنا . . ولنا عقولنا ولنا ديننا ، ولنا تقاليدنا وتاريخنا ، وهذا كله يجب أن يحكمنا ، ويشكمنا من السير وراء هؤلاء الغرباء . والذوبان فيهم ، وتقليدهم فى عبثهم وفى مباذلهم ومساخرهم . .

فإنهم لم ينهضوا بهذه المساخر والمباذل ، وإنها لسوس ينخر فى عظام حضارتهم ومدنيتهم ، وسيأتى اليوم الذى تخر فيه هذه الحضارة وتتحطم هذه المدنية . . وإن الذى يبقى عليها حتى الآن مع هذا السوس الفتاك ، إنما هو جانب آخر لا يزالون يحافظون عليه ، وهو الجدية فى أعمالهم ، وإنتظام الأمور عندهم ، ووجود كل نابه الفرصة أمامه لينتج علما أو صنعة أو اختراعا ، والتزامهم بتقاليد العمل ، وبتقاليد التجارة . . . الخ . . هذه الأمور الجدية الطيبة فيهم - وليتنا قلدناهم فيها - هى التى لا تزال تحرس البنيان هناك من الانهيار ، وهى التى تؤجل النهاية ، وتعمل شبه تعادل . . مع مظاهر الانهيارالبادية عندهم . . ولذلك يصرخ الكثير من عقلائهم ، وينذرونهم بالنهاية الأليمة لهذه الحضارة ، وينادونهم بالتخلص من مظاهر الانهيار . التى كانت على مر التاريخ سببا فعلا فى انهيار الحضارات . .

ومع هذه الأصوات العاقلة هناك والمخلصة نجد الموكب مستمرا فى سيره إلى نهايته .. وهذا شأنهم . وهم يتحملون مسئوليتهم ، ويصنعون تاريخهم .. ولكل شيء إذا ما تم نقصان .. ولابد أن الله يطبق عليهم سنته ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ..

لكن المصيبة هى مصيبة المقلدين التائهين عندنا ، الذين بهرهم الغرب أو الشرق الشيوعى بتقدمه ، فانهاروا نفسيا أمام هذه المظاهر التقدمية ، وتعلقت قلوبهم وعيونهم وتسمرت بقشور وسلبيات هذه الحضارة أو المدنية النابعة اصلا من ثقافتهم الخاصة . ونظرتهم للحياة ، فأقبلوا عليها - يستعيرونها لنا ويقلدونها .. فكانوا مثل الذين يخطفون نظارة طبية ليست على مقاس عيونهم ويلبسونها ، فيتعثرون فى رؤيتهم .. أو مثل الذين تعجبهم بدلة على انسان لأنها وجيهة ، فيصممون على أن يلبسوها ويظهروا للناس بها وهى ليست مناسبة لجسمهم ، فيضحك الناس عليهم .. فهؤلاء لا يمكن أبدا أن يستقيم سيرهم أو ينتظم مظهرهم ، ولا أن تصح نظرتهم ، ولا أن يروا الحياة والأمور على حقيقتها الطبيعية .. إننا بإسلامنا أو بنظرتنا الاسلامية متفتحون على كل ما فى العالم ، عارفون ببضاعته ، وعندنا حياة ، وإنتاج وبضاعة .. وبدافع من ديننا نستفيد من كل مفيد ، وجديد ، وصالح .. ونتغذى بكل غذاء يصلح لمعدتنا ، ولا يمرضنا ، وبكل غذاء لا تعافه نفوسنا وطبائعنا .. وكما أنه ليس من الطبيعى ولا من المقبول عند قوم لا يأكلون (الشطة) ، أن يعبوا منها ، ويلتهموا الطعام الملىء بها ، عندما ينزلون ببلد هذه عادة أهلها .. لمجرد أن أهلها يستطعمون الطعام بها .. كذلك ليس من المقبول أن نستسيغ كل التصرفات التى يتصرفها غيرنا ، ولا نستطعمها دينا أو عقلا أو عادة .. وإذا أصررنا مثلا على أن نأكل (الشطة) أو الطعام (المشطشط) كما يقال . فالنتيجة معروفة إن تفاهة التقليد تثير الضحك عادة ، والذين يقلدون الفنانين ، إنما يريدون

إضحاك الجمهور . . والولد الصغير حينما يقلد أخته الأكبر منه ، ويتحدث عن نفسه بضمير المؤنث كأخته يثير فينا الإشفاق عليه ، والخوف من أن يتأنث فى كبره . ويكون مضحكة . . لكن إذا قلد أخته فى المذاكرة كان جيدا ، أو فى النظام والنظافة رحبّنا ، او فى الطاعة وتنفيذ التوجيهات سررنا . لأن هذه أشياء تكبر معه ، وتكبر قيمته وقدره . .

أما أن يقلد حتى يتأنث فهذه مصيبة . . لأنه يخرج بذلك عن طبيعته . . فالتقليد والتأثر بالاشياء الحسنة أمر مطلوب ومحبوب . ومن هنا كان الرسول ﷺ خير قدوة لنا ، وكان من الواجب على الأب والأم والأخ الكبير والمدرس والرئيس أن يكونوا قدوة يقلدهم الصغار عنهم ، ويقتدوا بهم ، حتى يشبوا على حميد الصفات والأعمال . . ويدركوا قيمتها . . لكن التقليد فيما يضر مصيبة . التقليد الذى يضيع شخصية الأنسان ، ويهدر قيمته ، ويمسخ حياته ، ويبعده عن دينه وثقافته وأصالته ، كارثة . .

والمسلم يجب ان يحفظ نفسه وأمته من هذه الكارثة . .

ولهذا يقول الرسول ﷺ لا يكن أحدكم إمعة يقول : إن احسن الناس احسنت ، وإن أساءوا اسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم أن تحسنوا إن احسن الناس ، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم ووصف الله المقلدين لغيرهم فيما يضر ، دون أن ينظروا للأمور نظرة العقلاء ، وصفهم بأنهم ﴿ صم بكم عمى فهم لا يعقلون ﴾[1]

والمسلم ينزه نفسه عن أن يكون إمعة ، أو ببغاء يردد ما يقوله الغير دون وعى ، إو أن يكون أعمى عن الحقائق ، أصم لا يسمعها ولا يميزها بعقله ، فيفرق به بين ما ينبغى ومالا ينبغى . . المسلم يعرف وضعه ، وأنه من أمة جعلها الله ﴿ خير أمة أخرجت للناس ﴾ وأمة وسطا معتدلة ، فلا يليق به ، ولا يقبل أن يكون إمعة لا شخصية له ، ولا

---

(١) البقرة / ١٧١

مذاق يعرف به . . ودينه دين يجمع له بين مطالب المادة ومطالب الروح ، بين غذاء الجسد وتطلعات النفس للمتع وبين غذاء الروح للسمو . . أتاح له حرية العقل وحرية الحركة فى الدائرة السليمة المفيدة له ، وحجزه عن كل ما يؤدى إلى تهلكته أو ضعفه .

وقد أدرك ذلك كثير من علماء الغرب وفلاسفته وغير فلاسفة الغرب . . ولم يكتموه ، بل صرحوا به وأشادوا بعظمته كدين وحيد ، يجمع بين الدنيا والآخرة ، بين مطالب المادة ، ومطالب الروح . . والسمو المادى ، والسمو الروحى ، دون تعارض ولا تصادم ، ولا صعوبة . . حتى يقول چورچ روبير إن الاسلام ليس دينا فحسب ، إنه آخر الأديان التى ظهرت فى التاريخ ، وإنه أيضا ، وبصفة خاصة ، مجتمع روحى واجتماعى ، ونظام سياسى ، وأسلوب للعيش ، ولقد أعطى الاسلام الدنيا حقها ، والآخرة حقها ، فلا تزهق الروح لحساب البدن ، ولا يزهق البدن لحساب الروح ، فالازدواج كامل بين المادية والروحية فى شخصية المسلم .

ويقول (إميل درمنجم) :

الاسلام ليس عقيدة مادية ، تنطبق عليها المقاييس المادية ، وليس عقيدة روحية لا صلة لها بالمادة ولا بالحياة . إنما الاسلام عقيدة ترتكز على المادة والروح . والدنيا والآخرة : جسم وروح ودين ودولة ، وحياة وغيب ، والاسلام عقيدة تقدمية ، لا بوصفه مؤيد لنظريات ، الاجتماع الحديثة ، بل لأنه يدفع الانسان دوما الى الامام

ويقول بول دى ركلا :

الاسلام هو الدين الوحيد بين جميع الأديان الذى أوجد بتعاليمه السامية عقبات كثيرة تجاه ميل الشعوب إلى الفسق والفجور ، ويكفيه فخرا أنه قدس الإنسال ، وعظمها ، ليرّغب الرجل بالزواج ، ويعرض عن الزنا

المحرم شرعا وتشريعا ، وأن الاسلام قد حل بعقلية عالية عادلة ، أغلب المسائل الاجتماعية التى لم تزل للآن تشغل مشترعى الغرب بتعقيداتها

ويقول (الزى لستنشتاتر) :

الاسلام ليس دينا فحسب ، بل هو أسلوب فى الحياة ، وجد دون غيره طريقه إلى نفوس الأميين والفقراء وإلى نفوس المثقفين ، والى نفوس القادة والساسة ، وإنك لتجد علماء الذرة والحيوان والرياضة رغم بلوغهم هذه الدرجة العليا ، ظلوا مخلصين لدينهم الاسلامى [١]

وهذه الحقائق التى وصل اليها هؤلاء وغيرهم ليسوا متصدقين بها على الاسلام وعلينا ، ولكنها حقائق موضوعية فى الاسلام ، وظهرت للعيان إبان النهضة والحضارة الاسلامية فى صورة ازدهار مادى وروحى ، فى الصورة المشرقة التى قدمها المسلمون للعالم فى شكل إقامة امبراطورية قوية . فى الحكم والسلطان ، وامبراطورية قوية أيضا فى العلم والحضارة . مدفوعين إلى ذلك بروح دينهم وتعاليمه . .

فالمسلم إذن لا يعتنق دينا متخلفا ولا مخرفا ، ولا قاصرا . ولكنه دين يحقق للإنسانية مطالبها المادية ؛ وسموها الأخلاقى الروحى . . دين يحرس الانطلاق المادى لتحقيق كل تقدم وازدهار فى الحياة ، بالأخلاق وبالفضائل . . حتى لا يكون التقدم المادى كالسيارة المنطلقة بدون فرامل تحطم كل ما تصادفه . وتحطم نفسها ، بل يكون كسيارة منطلقة للإمام ، لها فرامل تضبط سيرها وتحمى الناس ، وتحمى نفسها . .

فهو يحقق للانسان مطالب عرائزة الجنسية ولكن بفرامل خلقية واجتماعية ، تحفظ لكل إنسان كرامته . . أو يحقق له مطالبه المالية ،

---

(١) عن كتاب سقوط العلمانية للاستاذ أنور الجندى طبع دار الكتاب اللبنانى بيروت ١٩٨٠م

ولكن بفرامل خلقية واجتماعية أيضا . .
ويحقق للانسان تكافؤ الفرص ، والأخوة ، والتعاون فى ظل الخير ، ولا يترك الانسان يطحن أخاه الانسان ويستغله ، ويمتص دمه . .
لا يقيم حياة فرد ولا طبقة أو جماعة على حساب الغير . ولكنه يراعى الجميع ، ويوازن بين مصالحهم . .
فهو لا يطحن الفرد فى سبيل سيادة جماعة أو طبقة ، كما فى الشيوعية . .
ولا يطحن الجماعة ومصالحها فى سبيل سيادة الفرد ، وتركه يعمل ويثرى بدون فرامل على حساب إهدار مصالح الجماعة . . كما فى الرأسمالية الغربية . .
بل دين يشبع رغبات الفرد ، ولكن فى عفة .
ويشبع رغبات الجماعة ، ولكن فى اعتدال وخلق .
دين يؤسس شخصية المسلم ويكملها على هذا الأساس . ويدعوه إلى أن يقيم فى الأرض مملكة ومملكة الله معا بهذا الأسلوب . . ليكون قويا فى غير عنف ، ليناً فى غير ضعف . . عزيزا بغير تكبر ، متواضعا بغير ذلة . .
لا يرضى لنفسه بالتبعية الذليلة ، ولا بالتقليد الأعمى .
حريصا على شخصيته ، وعلى نفسه وماله وعرضه .
لا يهدم ، ولكنه يبنى ويعمر . .
لا يعتدى ولا يطغى ، ولكنه يقف فى وجه المعتدين الطغاة .
ينصر الضعيف المظلوم ويقف بجانبه ، ولو كان غير مسلم ، ليأخذ له حقه ، ولو من المسلم . .
يعتبر العلم والتبحر فيه عبادة .
ويعتبر العمل والكد والتعب فى كل الحياة شرفا وقربى إلى ربه . .
إنسانا مبتسما للحياة
رحيما بالضعفاء

مساعدا للمحتاجين والفقراء
باراً بالأهل والجيران
يوقرالكبير
ويعطف على الصغير
يواسى المريض والمحزون
إذا قال صدق
وإذا وعد أو عاهد وفى
وإذا عمل أتقن عمله
يحرص على أن يكسب حلالا .
ويتمتع بزينة الله فى حدود الاعتدال والحلال . .
يعمل ويكد ليعيش ، ولا يكون عالة على غيره .
صادقا سهلا سمحا إذا باع أو اشترى
عفيفا متواضعا فى غير ضعف
قويا فى غير عنف أو زهو أو طغيان
عزيزا من غير استعلاء .
غنيا بنفسه ، ولو كان فقير المال .
إذا أحب أحب لله ، وإذا كره كره لله .
عادلا إذا حكم
رحيما عفوا إذا تمكن وقدر
يعف عن الدنايا
ويعلو على الصغائر
ويحرص دائما على طاعة ربه ورضاه
ويدعوه دائما فى ضراعة المحتاج إليه
اللهم اغننا بحلالك عن حرامك
ورضاك عن سخطك

واغنينا بفضلك عن سؤال الناس
اللهم أصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا
وأصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا
وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا . .
اللهم لا تجعل الدنيا غاية همنا ، ولا منتهى أملنا
واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير . .
واجعل الموت راحة لنا من كل شر .
ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار
اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم لقائك
توفنى مسلما والحقنى بالصالحين
أمين
وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين ،
عبد المنعم النمر

كتب للمؤلف

١ - الاسلام والشيوعية
٢ - الدين والحياة
٣ - تاريخ الاسلام فى الهند طبعة ثانية
٤ - الاسلام والمبادىء المستوردة
٥ - كفاح المسلمين فى تحرير الهند
٦ - المساواة فى الاسلام والمدنية الغربية
٧ - حواطر فى الدين والحياة . من مجموعة خواطرى فى مجلة الوعى الاسلامى
٨ - من وحى الاسلام والاحداث . من مجموعة مقالاتى الافتتاحية فى الوعى الاسلامى
٩ - إلى الشباب فى الدين والحياة . طبعة ثانية
١٠ - أبو الكلام أزاد المصلح الدينى والقائد السياسى فى الهند فى جزأين
١١ - من هدى القرآن
١٢ - من هدى الرسول ﷺ
١٣ - حضارتنا وحضارتهم
١٤ - إسلام لا شيوعية
١٥ - مشاكلنا فى ضوء الاسلام
١٦ - من أعلام المجاهدين المسلمين فى تحرير الهند .
١٧ - الاسلام والغرب وجها لوجه
١٨ - علوم القرآن .

١٩ - السنة والتشريع
٢٠ - علم التفسير
٢١ - بدء الشهور القمرية بين السنة والاجتهاد
٢٢ - أحاديث الرسول . كيف وصلت إلينا
٢٣ - الاجتهاد بين الماضى والحاضر ، ضرورته ومظاهره الآن . .
٢٤ - نظرات فى تفسير كتاب الله : تفسير جزء الاحقاف ، تفسير جزء قد سمع
٢٥ - شخصية المسلم كما يصنعها الاسلام . .
٢٦ - حديث الى الشباب

جاهز للطبع : الثقافة الاسلامية بين الغزو والاستغزاء . حصاد القلم . .

• • •

فهرست

● تقديم ٥
● من القرآن والسنة ٧
● ذلك هدى الله ١٥
* الاصول والاسس ١٧
* اهل مكه ٢٢

نقطه انلاطق للعمل ٢٩

* الصلاة ٣٦
* الزكاة ٣٨
* الصيام ٤٠
* الحج ٤١

● عباد الرحمن ٤٣

● جوانب شخصية المسلم ٦٣

* المسلم انسان ايجابى ٦٥
* المسلم مؤمن بقضاء الله غير ساخط عليه ٣٨
* المسلم انسان صادق ٧٣
* مقبل على العلم ٧٦
* المسلم انسان متعاون ٧٨
* المسلم انسان وفى ٨١

* المسلم انسان نظيف . ٨٤
* نظيف اللسان والكلمة ٨٧
* وانسان متفتح ٨٩
* وهو رجل امين .. ٩١
* حفيظ على دينه ووطنه ٩٣
* حارس للعداله ٩٦

● **كتب للمؤلف** ١٠٨

المركز الإسلامى للطباعة
٤٣٢ ش الهرم . ت : ٨٥٠٠٥٢